حمودة إسماعيلي
HAMOUDA ISMAILI

الجسد

بين مارلين مونرو وآرثر ميللر



دار اكتب

الجسد بين مارلين مونرو
و
آرثر ميللر

الجسد بين مارلين مونرو وآرثر ميللر

حمودة إسماعيلي
الطبعة الأولى ، القاهرة 2018م
غلاف: أحمد فرج
تدقيق لغوي: خالد المصري
رقم الإيداع: 2018/ 3130
I.S.B.N: 978-977-488- 555-6



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان: 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف: 01144552557

بريد إلكتروني: daroktob1@yahoo.com

الجسد بين
مارلين مونرو وآرثر ميللر

حمودة إسماعيلي



دار اكتب للنشر والتوزيع



الإهداء

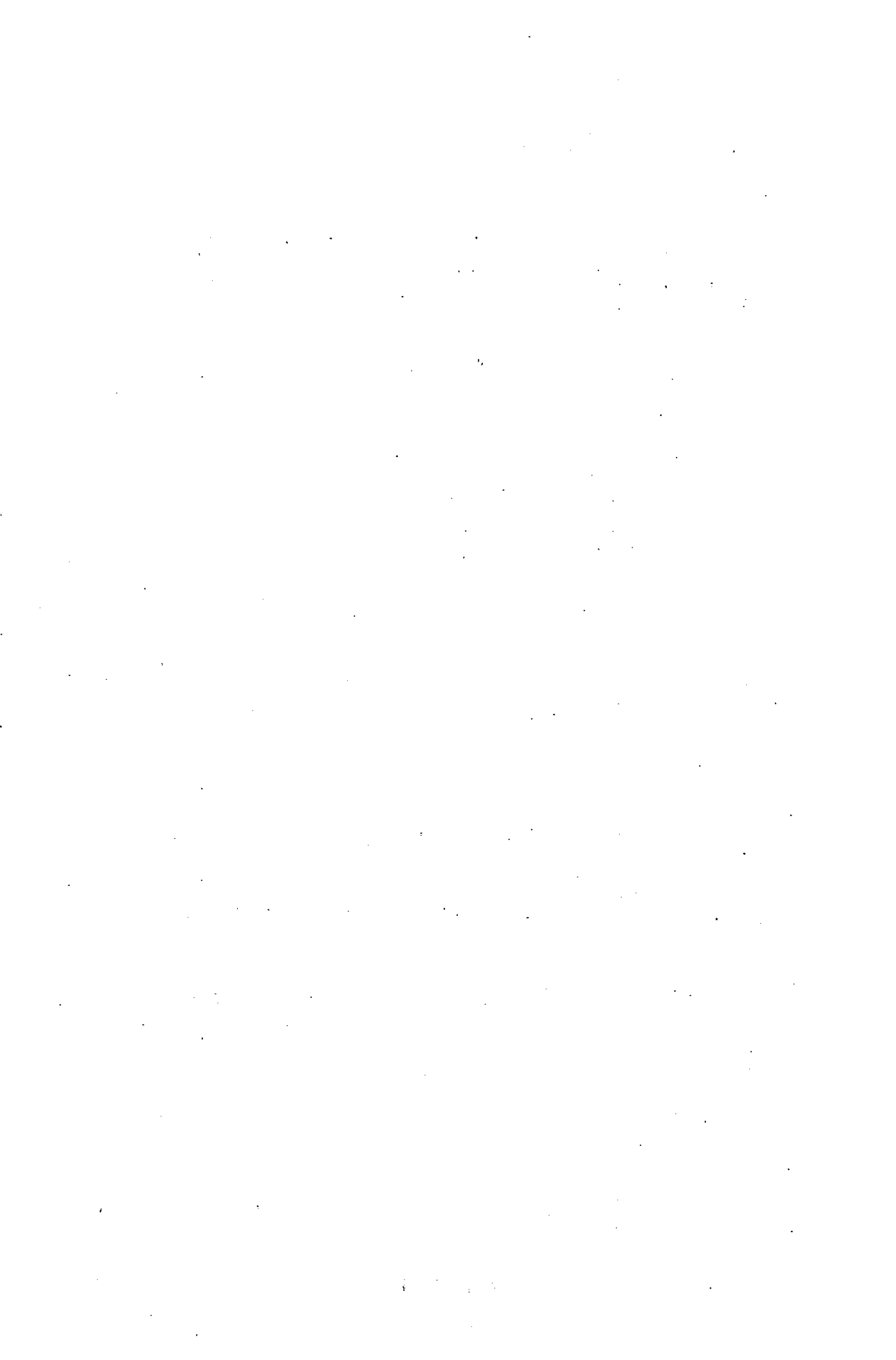
ل–سوزي..

التي لا تختزلها كلماتٌ ذكوريـة.. فتنفلـت باسـتمرار مـن الأوصاف الذكورية.

تنفلت مني، ومنك، وحتى من آل حميدوش.

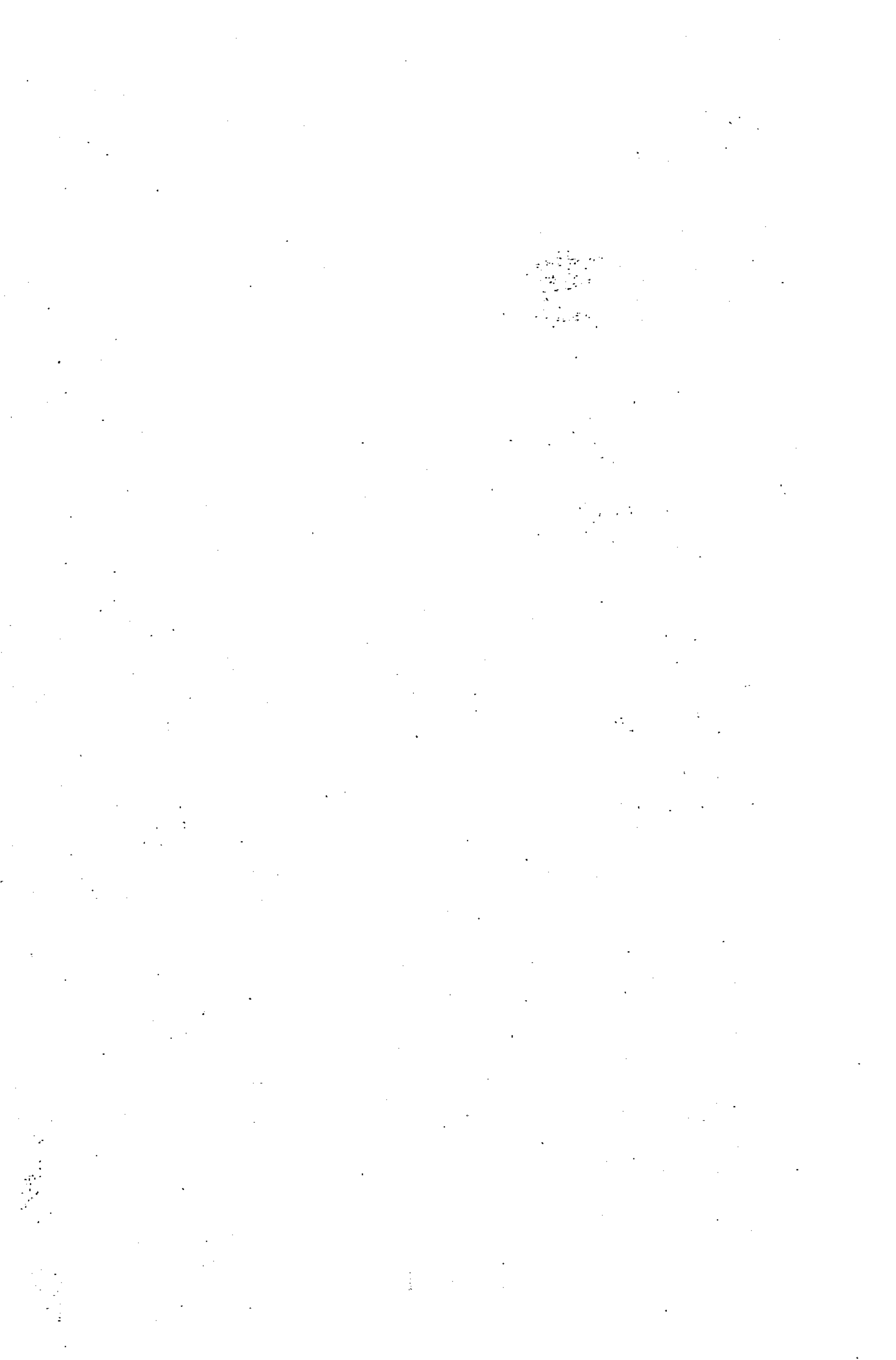
لخولة EB أيضًا، إشراقة لا تنتظر دوران الأرض.

لأسوم St، كذلك، التي تحمل كل الأشياء، مرةً أخرى.



هنالك كآبة دائمًا بداخلي، تُسمى رغبة

لانا ديل راي



دون مقدمات

يعتقد الناس – طالما أن ذلك هو ما يفعلونه! أي الاعتقاد – بأنهم يعرفون الحل لمشكلاتهم. هناك من يرى الحل في المال، أخرى في الزواج، آخر في الحصول على عمل، أو سفر للاستقرار نحو وجهة أخرى، إلخ، من الحلول الإعلانية، وهي "حلول" بالغالب التي تتخذها شخصيات الأفلام السينمائية والتلفزيونية، وهذه الأخرى – أي الشاشة بصفة عامة – تأخذ جزءً كبيرًا من شخصياتنا وقراراتنا في اختيار أساليب عيشنا.

لكن حتى حينما نتوفر على الحل – سواء أكان مبلغًا ماليًّا أو راتبًا أو وعدًا بخطوبة – فإننا نستشعر كأن شيئًا ما ناقصا، كأن الأمر ليس بذاك الطعم الذي تخيلناه، وطبعًا لا أنفي ذلك الشعور الطاغي والمفاجئ بالتغيّر والسعادة نوعًا ما، غير أن ذلك سرعان ما

سيزول، فنستشعر مرة أخرى باضطراب، وبأن الأمور ليست كما هي عليه. وكأن جرحًا أو جراحًا بداخلنا لا تلتئم: ما هذا الجرح؟ ولماذا؟ وما سببه؟ ذلك بالضبط ما لا ندركه!

من الواضح أننا محكومون، باختلاف النسب، بالشعور نوعًا ما بعدم الرضى، والقلق، والانزعاج – هنالك لحظات سعيدة، حميمية، ممتعة، لكن شعورًا بعدم الرضى يظل قابعًا، ليطفو كل حين، خاصة بلحظات الفراغ، والملل، ولحظات الخذلان من طرف الآخرين!

في بحثي حول هذا الأمر، أقول إننا نتوارث الأسماء، الجنسية (الهوية)، واللغة، غير أننا نتوارث كذلك شعورًا بالضيق والنفور – في بعض الحالات – من حالتنا المعيشية، كرهًا نحو شيء غير محدد! وكأن سجنًا غير مرئي أو قيودًا تطوقنا، فيصل الأمر حد الشعور بأن أيادي تمتدُّ لتقوم بخنقنا: نشعر بالاختناق ب"الزهق" (زهقان بالتعبير المصري أو "الدنيا مقفلة فوشك").

يعتقد الفقراء أنهم وحدهم من يستشعرون ذلك، فيحاولون تجاوزًا لهذه الحالة – أو الشعور (بتعبير أصح) – الافتخار بأنهم ينفردون بالقلق والضيق، بذلك فهم من يستشعرون الحياة على

حقيقتها، أي أنهم يحاولون صُنع سعادتهم رغم الآلام والعجز والفاقة، بذلك تتمظهر البطولة فيهم! فالبطولة هي تحمّل الحياة كصناعة للذات في الحياة! غير أن هذا أمر سخيف ومفروغ منه!

لكل الناس باختلاف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية انزعاجات معينة، الاختلاف في نوع الإشكال ربما، وليس في الإحساس. فالأغنياء يرون أن الفقراء غير مطاردين بنظرات المحيطين: يلزم الحفاظ على المستوى الاقتصادي نفسه أو أفضل، الاقتناء، الشوبينج، تغيير الإكسسوارات والديكورات المنزلية كل فترة، تغيير السيارة، تلبية الدعوات وما يتتبّعها من هدايا باهظة مفروضة، وإعادة الدعوة بإقامة حفلة فخمة أو زفاف أو ما سواه مما يستدعي مصاريف ضخمة. أما الطبقات الأقل – برأي الطبقات الراقية – فالأمر لا يصل للضغط النفسي، طالما أن هناك تساهلات فيما يخصُّ الأسلوب المعيشي، حفلات بسيطة، ملابس غير معروفة الماركة، أطفال غير متطلبين بشكل مهول. إن المشكل ليس في الفقر أو في الثراء – مهما يبدُ ذلك أمرًا مُبالغًا فيه، نتيجة تأثير المال في تحسين الحياة – إن المشكل في أن هذه الأمور تتلبس الإحساسات، والتي (الإحساسات) يكون مصدرها وسببها أمرًا آخر. وكأننا نعالج جرحًا بتناول دواء الزكام! ليس الزكام هو سبب الألم، إنه الجرح. ولن يلتئم الجرح بدواء الزكام! لذلك لن

يتوقف الناس عن التذمر، سيحصلون على ما يريدون - كما هو ظاهر، بيت، سيارة، عمل - غير أن الضيق سيستمر وإحساس بأن شيئًا بداخلنا يخبرنا بأن نبكي لا أن نفرح! فهناك شيءٌ ليس بمكانه. لذلك سيتلبّس الإحساس - مرةً أخرى - أمرًا آخر: قد يتعلق الأمر بحزنك لأن صديقتك ملتزمة في فترة الصيف بعمل بالدنمارك، وأنت ترغبين بتمضية العطلة معها في جزر الباهاماس - والأصل في حزنك ليس غياب صديقتك، إنما في الأصل غياب شخص يحبك حبًّا جامحاً ويصحبك لجزر الباهاماس!

أتذكر ما قالته الكاتبة إيمي همبل بإحدى حواراتها: "أكثر أمرين أرغبهما هما، لغة مثيرة للاهتمام وشعور حقيقي. وشيء آخر: لسنوات وسنوات خلت، كنت أعرف امرأة حكيمة والتي كانت بارعة للغاية ومتفوقة في عدة أمور، محققة ما يتوق له أي شخص، فسألتها عما هو هدفها الآن؟ أجابت دون أن تتردد لحظة: «أن أُحِب بعمق». ثمة درسٌ هناك"(1).

:1Amy Hempel, The Art of Fiction No. 176 - Interviewed by Paul Winner

مدخل أول

فلسفة للقُبح



هل ما يزال للفلسفة شيء تقوله، وذلك بعدما قتلها مارتن هايدغر؟

ففي حواره مع مجلة دير شبيغل بسبتمبر (أيلول) 1966، ذكر أنه:

"انطلاقًا من تأمل مطوّل: الفلسفة لن تكون قادرة على إحداث تغيير مباشر بالحالة الراهنة للعالم"، معلنا إثر ذلك (خلال الحوار) عن نهاية الفلسفة!

وبتساؤل الصحفيين رودولف وجورج:

"أتعتقد بأن فعالية الفلسفة وصلت لنهايتها؟".

وضّح هايدغر بأن "الدور الذي لعبته الفلسفة حتى الآن استولى عليه العلم اليوم"، و"بنظرك من أخذ مكانة الفلسفة اليوم؟"

يجيب هايدغر:

"السيبرنتيقا (علم المكننة الحوسبية أو الذكاء الصناعي)". وكان قبل ذلك قد ذكر أن "الفلسفة (حاليًّا) تذوب داخل العلوم المتفردة: علم النفس، المنطق، وعلم السياسة"(1).

لكن بما أن الفلسفة تساؤل – حتى بعد قتلها من طرف هايدغر، الذي راهن على طرق أخرى للتفكير (كتجاوز/انفكاك) من ضمنها الشعر – فإن العلم (بذكائه الاصطناعي) والعلوم النفسية والسياسية، لا تزال تعجز عن اختراق حميمية الذات واقتحامها، حينما يقف الإنسان أمام المرآة –خاصة بالحمام– هنا ينشأ تساؤل خاص بالذات، ينظر الإنسان لذاته ويتساءل حولها: حول جمالها وقبحها، حول ما يظهر منها وما يسكنها. قد نأتي ونقول إن علم النفس– خاصة بعد ممارسات التحليل النفسي – سعى أو تمكّن من ولوج هذه المنطقة: متمثلة في فرويد واكتشافه للهو – منطقة اللاوعي التي تضمُّ التاريخ المجهول للشخص، والمتحكّم (الهو) بطرق ملتوية في وعي وإدراك الشخص، وما تبدى من أهداف لاستنطاق هذه المنطقة ودعوة الهو للتحدث عن نفسه وتعرية مكنوناته – لكن ألا يُعتبر من خلال أشهر شُرّاح فرويد وهو جاك لاكان، الاعتماد لولوج هذه المنطقة على "خطاب" الشخص المعني (المريض) الذي (قد) يصمت عن أشياء؟ رغم أن لاكان لا يعتبر أن المريض يصمت بقدر ما هو يحكي بطريقة مزدوجة: فحينما هو يتحدث عن الحميمية يقوم بالتغطية عن ركائزها (الأمور المهمة والمخبوءة)، بذلك فهو يحكي ولكن بطريقة ملغزة (مخفية): عبارة عن لغة موازية يلزم ترجمتها.

هنا يتمظهر دور المحلل كمترجم - كما يؤكد على ذلك لاكان، أو مترجم موجّه للخطاب - لكن ألا يختزل ذلك علم النفس/التحليل النفسي ضمن إطار معين، يجعله لا يخترق حميمية الذات في ماهيتها؟ فترجمة الخطاب كنص (منطوق)، لا يشير بالضرورة لاكتناه الشخص كلية! وإلا لكانت عملية ترجمة نص كتاب تُعتبر ترجمة للكاتب: فهل نص الكتاب هو الكاتب؟ هو سيكولوجية الكاتب؟ أم مجرد جزء منها؟ بالطبع جزء منها (وإلا لما تولدت منه عدة نصوص/خطابات). ذلك ما يجعل التحليل لا يزيل الإشكال من الشخص/المريض بشكل مطلق.. فما يتم هو تأويل إجمالي للشخص انطلاقًا من إدراك لجزء سيكولوجي مكشوف - فقد شدّد فرويد في أكثر من موضع، بقراءة ما يقوله المعنى، وقراءة تاريخه وحتى حركاته: وتكفي الإشارة لتفسيره لنسيان أمور معينة عند شخص/محلل (من قبل النساء) كدعوة جنسية (صامتة)، والقصد من كل هذا هو الإشارة إلى أن التعميم (التأويل الإجمالي) يمكنه أن يصيب الحقيقة (حقيقة الشخص) - أما برأي تيودور أدورنوف "لا شيء صحيح بالتحليل النفسي سوى المبالغات" - لذلك يجد إيريك فروم أنه "مهما تبلغ أهمية المعلومات التي نحصل عليها، فإننا لا نستطيع حتمًا أن نتنبأ يقينًا بالسلوك المستقبلي للإنسان، بل نفعل ذلك ضمن احتمالات معينة. لكننا نستطيع أن نتوقع سلوكًا جماعيًا بدقة أكثر إذا كنا نعرف بنية الطبع المشترك لمجموعة من الأشخاص"(2).

غير أنه انطلاقًا من تلك البنية، يمكن أن ندرك الآليات النفسية للشخص المنضوي بنمط البنية، فهذا الأخير (النمط/الطبع) متوقع نسبيًا (وهي نقطة يتفق عليها فروم كذلك برؤيته ل"نظام الإنسان").

لكن المهم ألا نغفل أن الشخص يحتفظ – حتى بعد تحليله – بجزء معين (حميمي) خاص به: هو ما يُولِّد نوعًا من التفلسف – تفلسفًا خاصًا: قد يتضمن جنونًا أو رؤية، تفلسفًا للذات حول الذات.. تكشفه عملية الوقوف أمام المرآة! لتنبثق مفاهيم الاختلاف والمقارنة: جمال قبح، ضخامة صغر، سمنة هزالة... إلخ.

****

موقف لاكان من الفلسفة لا يختلف عن موقف هايدغر، فهو الذي قال: "أنا أمقت الفلسفة، فمنذ زمن طويل لم تقل شيئًا يدعو للاهتمام"(3)، مُراهنًا على ما يمكن أن يقوله التحليل النفسي من منطلقاته الراديكالية – التي لم تنحرف عن ضيْعة فرويد، بنظر لاكان. لكن إذا علمنا كما سبق وأسلفت، بأن التحليل يقول – بنظر لاكان، ما دامت الفلسفة لا تقول – ألا يشير هذا إلا أنها (الفلسفة) تعود بالرغم من ذلك لتقول ما انفلت من التحليل خلال مساره، ولم يقله: أو ما لم يدفع الشخص/المتكلم/المريض للإفصاح عنه؟

فحسب عبد الهادي مفتاح:

"الخطوة الحاسمة التي تقود إلى «أرضية» الفلسفة حيث تستقر ماهية الميتافيزيقا هي ما يمكن نعته بتعبير هايدغر: «الرجوع إلى الوراء». هذا الرجوع لا يعني اجتيازًا للمسافات المقفرة عبر التاريخ إلى «مكان» ناءٍ ألفيناه وراءنا. بل إلى «مكان» على مقربة منا هو بمنزلة «شيء» ما انفك يعود. وهذا ما تنطق به كلمة الوراء باعتبارها تتضمن التواري والاختفاء. فالوراء هو الخلف. والخلف هو ما يحتجب عن الظهور، ويتستر وراء «شيء» يكون بمنزلة الحجاب. الرجوع إلى الوراء إذن، عودة إلى ما يظل ثاويًا في كل تجل بحيث لا يظهر إلا المعطى ويحتجب ما عنه يصدر العطاء"(4).

ويضيف:

"السؤال إذن، عن ماهية الفلسفة أو ماهية الميتافيزيقا (وهما مترادفان)، «غايته إبراز آخر الموجود إلى العيان»(5) أي حمله إلى مجال الرؤية ما أمكن ذلك، علما بأنها محاولة شبيهة كما يقول أرسطو: «بتلك الطريقة التي تتكيف بها طيور الظلام مع ضوء الشمس الساطعة»(6).

ما يسطع فلا يدركه الفكر، هو الوجود الذي هو مرآته وعينه. والعين لا ترى ذاتها إلا في المرآة. ومرآة الوجود هي اللغة التي بها ينعكس الفكر على نفسه، على النحو الذي يتعرف فيه المطلق على ذاته عند هيغل"(7).

فأمام المرآة ينعكس الفكر أمام وجوده، أمام اللغة: واللغة حوار/تساؤل يهدف للتعرية والكشف: سواء عن الوجود أو الموجودات أو حتى عن الذات على حد سواء.

تسطع الفلسفة أمام المرآة – عند الاختلاء بالذات – ما دامت الفلسفة أو المتفلسف "يسعى لأن يلتقط الكلام الصادر عن الوجود"(8)، الوجود كانعكاس/رؤية لذاته. وحتى نغلق خانة التأويل اللامتناهي على اعتبار أن الفلسفة تأويل (للخطاب) مقابل الشعر كأصالة، يمكن أن نضع حدًّا لذلك بما قاله الشاعر نوفاليس:

"من دون فلسفة الشاعر ناقص - من دون فلسفة المفكر ناقص"، كما يضيف: "في المعنى الواضح، التفلسف هو فعل مداعبة، شهادة على الحب الأكثر حميمية للفكر،للرغبة المطلقة والحكمة"، فـ" الإنسان بشكل خاص، مفكر وشاعر"(9).

وبالنظر للمرآة تتساءل الذات عن قبحها وجمالها.."أنا قبيح أم جميل؟" يتبادر السؤال إلى الذهن بالنظر لانعكاس الجسد وخصوصًا الوجه بالمرآة؛أحيانًا ترجح كفة "أنك جميل" ومرة أخرى "أنك قبيح"، فقط الحب هو الذي يضع أمامك إجابة حاسمة: حيث تكون جميلًا بما أنك محبوب، فالقبح بمفهومه هو ما يثير النفور.

طبعًا تعيدنا هذه الصيغة الأخيرة لسيكولوجيا التطور الإنساني، فبحسب التكيفات التطورية المنتقاة، ولّد البشر حالة نفسية (ناشئة عن رد فعل فيسيولوجي) تُعرَف بحالة التقزز أو النفور أو الاشمئزاز، الغرض منها هو الحفاظ على البقاء وحماية الذات من المهدِّدات الغذائية، كيّف البشر نفورًا من الروائح النتنة والمناظر القبيحة وغير المتناسقة (الفاسدة) للمكونات الغذائية، فانتقل هذا النفور للأشكال الإنسانية عند الانتقاء الجنسي، كل جسد إنساني مشوَّه أو غير متناسق يثير الريبة، بما أنه مهدِّد للبقاء (قد يتضمن أمراضًا وسمومًا حسب نفس الرؤية)، أو عدم المغامرة بضياع الجينات في ذرية قبيحة مشابهة تثير النفور – كان من ضمن دوافع الانتقاء الجنسي، صحة الجسد المتناسق كدليل على الخصوبة أو الصيد/الشجاعة كتوفير للموارد والحماية. النفور من القبيح: هروب من احتمالية التعرُّض لمرض يسكنه أو إنتاج مخلوقات مشوهة منه (شبيهة به).

انطلاقًا من هناك،ارتبط القبح بالشر: أي القبيح بالضرورة شرير، والجمال بالخير: كل الأنبياء كان يتم وصفهم على أنهم كانوا الأكثر جمالًا بين قومهم، أو لم يتم وصف أي منهم بالقبح، وكذلك الأمر بالنسبة لأزواجهم وذريتهم.

على هذا النحو يتحوّل الجمال من مفهوم ثقافي تطوري، إلى سلاح اجتماعي.. بل يعتبره جون فرونسوا دورتييه – في مبحثه «طغيان الجمال» (10) نوعًا من الظلم؛ فهو يجد الجمال ظالم ولا

يتصف بالعدل، فقسوته تصل حتى اللغة حيث نجد ترادفًا بين ما هو جيد وما هو جميل، حتى أن القول بأن شخصًا ما "جميل" إيحاء في الوقت نفسه بجودته الأخلاقية، بالمقابل يرتبط القبح بالشر، وذلك بتاريخ المخيال الشعبي، فالقبيحون يشبهون المخلوقات الجحيمية المشوَّهة الشريرة.

أما عن اعتبار الجمال كسلاح، دورتيبه يكشف أن الجمال يفتح بسهولة كل الأبواب: سواء المتعلقة بالاقتران، العمل، الصداقة، بل حتى العدالة.. بما أن القُضاة قد يميلون لا شعوريًّا للتعاطف مع الوجوه الناعمة والبريئة مقارنة بالوجوه الشرسة والمخيفة، بغضّ النظر عن الجرم.

إن توريث هذه المفاهيم، يرجع بالأساس لاختيارات الأسلاف السابقة، والتي تتمظهر لدينا كتجنب لما قد يؤذي علاقاتنا - خاصة الجنسية - المستقبلية، لذلك نجد ميلًا لتفضيل علامات الشباب والخصوبة (هناك شبه اقتتال بين الناس اليوم لإخفاء التجاعيد وإبراز المفاتن الجنسية)، وكذلك تفضيل الملامح البريئة، بناءً على تصور مستقبلي بأن الشخص لن يترع للشر - يمكن أن نحيل بإشارة إلى تهافت الناس (خاصة النساء) لتصغير الأنف، ونفخ الشفتين وما سواه مما يجعل الوجه يتبدى أكثر طفولة.

تتساءل الكاتبة والصحفية كاترين دافيد: كيف تتشكل أحكامنا الإستيطيقية (الحسية)؟ كيف نحدد أن وجهًا ما أو عملًا فنيًّا على أنه

"جميل" أو "قبيح"؟ ألا يُعتبر القبيح ما هو عكس الجميل، حيث إن النظر يلتف ويدور؟ "خصلات شعري الجميلة أخفت قبحي، فعيني اليمنى كان قد سبق لها ومالت نحو الأفول"، كتب سارتر في مؤلفه «الكلمات». صفحات راقية من الشجاعة والأسلوب. هل من الممكن أن سارتر ورث بطريقة مباشرة من سقراط هذا الوجه غير الجذاب، المشابه لسيلينات ديونيسوس؟ بوضع "القبح الساخر" للفيلسوف بأصل تراثنا، كما فعل أفلاطون، ألا يفترَض ذلك على الفور وجود جمال سري، يتموضع خلف المظاهر، في القول أو في الروح؟ (11).

تساؤل كاترين نابع من استضافتها لشخصين مهمين، هما الروائية جوينايل أوبري والسيميائي المؤرخ أمبرتو إيكو- وصاحب رواية «الوردة» الذائعة الصيت. وما يجمع كل من هذه الروائية أوبري والمؤرخ إيكو أن كليهما تحدث عن القبح، وخصص له كتابًا، وهو ما ندر حدوثه بتاريخ الأدب مقارنة بالحديث والكتابة عن الجمال.. انطلاقًا من هناك تفتتح كاترين نقاشًا هنا – بما أنها تعترف بأن لدى الضيفان الكثير من الأشياء لقولها عن القبح – بادئة ذي بدء بتعريف عمليهما: مصادفة، كتابان حديثان وغير مكتشفين بشكل يثير التساؤل، يصدران بوقت واحد: «قرف القبح» دراسة أنطولوجية مهمة، من تأليف الكاتبة الفيلسوفة جوينايل أوبري، التي تقودنا من سقراط لدوبوفي Dubuffet، مرورا بوايلد Wilde وبودلير، غويا وباتاي Bataille.

و«تاريخ القبح» الجدير بالاحترام، لمؤلفه أمبرتو إيكو، الذي يسافر عبر القرون لسبر الأغوار بحيوية ذواقة، لا تقلُّ عن التي ب- «تاريخ الجمال» (2004). إيضاحات تحبس الأنفاس، من ميدوزا القدماء إلى جيروم بوش، إلى الفن الهابط kitsch والأسلوب الذكوري camp،إلى سوتين Soutine وبيكون Bacon، تؤكد هذه الإيضاحات بجمالية، بديهة ڤيكتور هيغو:

"للجمال طرازواحد، أما القبح فمئات".

كذلك لهذين الكاتبين مئات الأشياء لتُقال – وسأحيل النقاش بالجزء الثاني ضمن الكتاب (12).

نرجع للجمال وطغيانه، فإن كان للجمال طغيان، فهو نابع من جبروت القبح: فالجمال مهدد بالتبدد والزوال– إن لم يكن من طرف تدخلات بيئية محيطية (كالحوادث والآفات)، فالزمن كاف بتدميره، أما القبح فهو لا يشيخ أبدًا.. هذا ما يُبرز طغيان الجمال – بالمقاييس المتطلبة بقسوة، كمجابَهة للقبح – غير أن صنفًا ثالثًا سيذكره إيكو يهدم هذه المعادلة أو الصراع: وهو الجاذبية! أنا عن نفسي أجد أن مفهومًا رابعًا يتبدى كذلك، وهو "الغرابة": حيث يصبح القبيح بشكل مفاجئ جميلًا: ذلك لا يجعله جميلًا بقدر ما يجعله جذابًا.. وأقرب مثال عن ذلك هو سارتر: رغم قبحه المشتهري، فسيمون المثقفة الجميلة كانت مفتونة به! سارتر هنا ليس جميلًا أو قبيحًا بل

"جنابًا" لأنه غريب/عجيب (ذلك الانطباع المرتبط بالسحرة: الانجذاب لقدراتهم، بغض النظر عن مظاهرهم.. ينطبق الأمر كذلك عن الشعراء والموسيقيين والفنانين بصفة عامة، بما هم سحرة نوعًا ما).

إن الجمال والقبح نوعان من الإحساس يتشكلان انطلاقًا من مفاهيم فلسفية تؤطرهما – فيندرج ذلك بما يسمى بالإستطيقا – (عندما نتحدث عن الإستطيقا كمصطلح فلسفي، إننا نتحدث عن الإنتاج الفني: الفن باعتباره جمالًا، كحضور مدهش. الإستطيقا عند الإغريق هي كل ما يترك إحساسًا جميلًا. لأجل هذا الكلمة الإغريقية "إستسيس" aisthesis (إحساس) تعني اشتقاقيًا "علم الإحساس".

سوسيولوجيا يتضمن الجمال معنيين: المعنى الفيزيقي المتعلق بالجسد الإنساني بما في ذلك تمظهر (شكل) الأشياء، والمعنى الميتافيزيقي الذي ينتمي للحياة الباطنية (الجوهر).

هذا المعنى الأخير (الميتافيزيقي) يعتبر واحدًا من أهم المفاهيم الفلسفية منذ كانط لغاية هايدغر.

هناك بعض التفاسير التي تقدم الجمال والقبح على اعتبار أنهما مفهومان أحدهما يقابل الآخر.

لكن بافتراض أن القبح ليس ما هو عكس الجميل، فما هو إذن؟

القبح هو رؤية مغايرة، جانب آخر؛ كمثال امرأة جميلة بإيطاليا القرن السادس عشر ميلادي، ربما امرأة قبيحة بزمن الفراعنة. ما يعني أن القبح والجمال تعريفات سوسيولوجية مؤقتة، تتغير عبر الحقب الزمنية، وحسب مختلف المجتمعات البشرية بالعالم.

القبح مثل الجمال كذلك يتضمن معنيين: داخليًّا وخارجيًّا. ولدينا مَثَل متداول يفسر جيدًا هذه الفكرة، يقول:

"الجمال قشرة خارجية. أما القبح فيتغلغل حتى العظام".

الآن، لو تقبَّلنا أن القبح ليس عكس ما هو جميل، هل يمكن أن نجد جمالًا ضمن ما هو قبيح (كما بغرابة/جاذبية سارتر)؟

ذلك هو مشروع بودلير، الشاعر الذي معه يمكن بعمق القبح أن تنبت بذور الجمال. مستلهمًا من إدغار ألان بو– أب أدب الرعب – بهدف أن يصير مثل رامبو: بودلير يصبح ساحرًا، يقوم بتحويل الحقد، القرف، الغضب، البؤس، إلى أزهار بمدينته الوغدة، باريس التي تنتج الشر. هنا بودلير يغني "أزهار الشر" (أشهر دواوينه الشعرية). وهو من يقول:

"الشاعر يعرف كيف ينحط بالحياة، معتقدين أنه يتقبّل ذلك، غير أن هذا ليس هدفه، لأنه يستفيد جيدًا من رحلته. يستخرج من القبح والتفاهة شكلًا جديدًا من السحر".

مع إدغار ألان بو، بودلير، فيرلان – الصديق الحميم لرامبو، المالنخوليا (الاكتئاب أو الكآبة) ليست حالة نفسية سلبية، إنما أرض غامضة عجائبية: معرض للمجانين. وكما يقول جون غريغور:

"من المهم إدراك أن قبحنا، مهما يكن، يخفي بعض الجمال".

دوّنت أسماء ستيوات ذات مرة:

"أفكر في كل تلك الأرواح المرهفة، الأرواح المعذَّبة، التي أكن لها كل مودّة العالم، تلك السّخية بطبعها، المبتسمة والحيّة، هذه الأرواح مزيج من المرح الحزين في يوم ماطر،وكآبة ليست سوى قوة وحكمة، ذكرى لتلك الأرواح التي علّمتني الكثير"(13).

يقول الرسام فينسنت فان غوخ بإحدى رسائله:

"للأشياء القبيحة خصوصية فنية قد لا نجدها في الأشياء الجميلة وعين الفنان لا تخطئ ذلك.

اليوم رسمت صورتي الشخصية ففي كل صباح، عندما أنظر إلى المرآة أقول لنفسي:

أيها الوجه المكرر، يا وجه فينسنت القبيح، لماذا لا تَتجدَّد؟

أبصق في المرآة وأخرج".

يرد عليه الروائي غوغول:

"لا يفيد لوم المرآة إذا كان وجهك معيبًا".

لكن يظل الأبرز هو ما خطّه نيتشه ب« إرادة القوة» – وهو الكتاب الذي يُنسب لأخته – حيث كتب:

"ما الفكرة الرخوة والحقيرة التي اختلقها المتحمسون للطبيعة، فكرة «الطبيعة» (بعيدًا عن كل الغرائز المؤيدة لما هو بشع، وشرس، وبذيء حتى في ال-«مظاهر» الأكثر «جمالًا»)، ما هي إلا محاولة لفك رموز هذه «الإنسانية» المسيحية - الأخلاقية في الطبيعة - وتصوّر روسو، كما لو كانت «الطبيعة» والحرية، والطيبة، وبالبراءة والإنصاف، والعدالة متطابقة - هو في حقيقة الأمر أخلاق مسيحية - وأخذ مقاطع من أعمال الشعراء للتيقُّن من افتتانهم بالجبال الشامخات مثلًا...إلخ - وماذا كانت تمثله بالنسبة لغوته - ولماذا كان يجل سبينوزا - وهو جهل مطبق بدوافع هذه الأخلاق (14).

ما زال هناك إيمان بالخير والشر: بحيث تُعتبر المهمة هي انتصار الخير والقضاء على الشر - هذا شيء إنجليزي: الحالة النموذجية لهذا العقل المسطح التي يجسدها جون ستيوارت ميل"(15).

فوكو – حول نفس المحور – يقول:

"أنا أتساءل عما إذا لم يكن مشكلنا اليوم، وبكيفية ما، هو نفس المشكل (القديم)، ما دام أغلبنا لا يؤمن بإمكان تأسيس أخلاق على الدين، ولا يريد نظامًا شرعيًّا يتدخل في حياتنا الأخلاقية، الشخصية والحميمية. إن حركات التحرر حديثة

العهد تُعاني من افتقادها لمبدأ تؤسس عليه إنشاءً لأخلاق جديدة. وهي في حاجة إلى أخلاق، لكنها لا تستطيع أن تجد سوى تلك التي تقوم على معرفة علمية مزعومة لما هي الأنا، والرغبة واللاوعي... إلخ".

وحين سؤاله: "هل تظن أن الإغريق يقدمون اختيارًا آخر، جذابًا ومقبولًا؟"(16).

أجاب برفض الحلول التعويضية ما دامت الحلول لا تكمن في حلول طُرحت على إشكاليات بعصور أخرى من طرف أناس مختلفين (عنا وعن عصرنا). وذلك رد حاسم لدعاة العودة لاستقطاب حلول ماضوية متجاوزة لفك طلاسم الواقع الحاضر (رغم أن الممارسة الفلسفية تتطلب العودة: ليس للبتر أو اقتراض حلول، ولكن لإعادة القراءة كتوسيع الفهم بصيرورة التأثير والحط على الإشكال)..

كما يؤكد المؤرخ إيكو على وجود تفسير النصوص الفلسفية في إطار عصر إنتاجها. ورهان فوكو على الفكر أو "تفاؤل الفكر" بتعبيره، هو "أن يعرف بأن لا وجود لعصر ذهبي"، تتم العودة إليه كما بسخافات المهرّجين اللاهوتيين والمتفلسفين (لإسقاطه حرفيًّا على الراهن).

وبسؤال فوكو:

"لماذا لم يكن العالم القديم عصرًا ذهبيًّا؟"ما دام ما يشغل الإغريق - حسب فوكو - كموضوع (هَمْ) كبير، هو"تأسيس نوع من الأخلاق كانت بمنزلة علم جمال الوجود"(17).

يجيب:

"كانت أخلاق الإغريق، أخلاق مجتمع رجولي بالأساس، كانت النساء فيه «مضطهَدات» ولم تُعْطَ للذة النساء فيه أي أهمية، كما أن حياتهن الجنسية لم تُحدَّد إلا من موقع تبعيتهن للأب الوصي أو الزوج"(18).

1: «الفيلسوف والسياسة» حوار مارتن هايدغر لمجلة Der Spiegel - ترجمة وتقديم: حمودة إسماعيلي – موقع أنفاس.

2: إيريك فروم – أزمة التحليل النفسي، ترجمة: طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ص79.

3: جاك لاكان، التحليل النفسي كما أُسيء فهمه (حوار) – ترجمة: حمودة إسماعيلي – موقع أنفاس.

4: الشعر وماهية الفلسفة – عبد الهادي مفتاح – موقع ألف.

5: الشعر وماهية الفلسفة – المصدر السابق عن:

M.Heidegger: construction à la question de l'être. In Qu:I, p. 245.

6: الشعر وماهية الفلسفة – المصدر السابق عن:

7: الشعر وماهية الفلسفة – المصدر السابق.

8: الشعر وماهية الفلسفة – المصدر السابق.

9: الفلسفة والشعر والعبقرية، شذرات ومختارات ل «نوفاليس» و«دي نورفال» – ترجمة: حمودة إسماعيلي. جريدة الاتحاد الاشتراكي بتاريخ **2015/01/09**.

10: **Jean-François Dortier - La tyrannie de la beauté,**

.Magazine Sciences Humaines

11: Le laid concentré: Gwenaëlle Aubry et Umbert Eco, Propos recueillis par Catherine David, sur le Nouvel Observateur.

12: ستتم إحالة حوار أوبري وإيكو وكاترين بمناقشة ضمن جزء "سخرية القبح".

13: Asmaa Stiouat - Grandeur d'âme, su lameenvogue.com.

14: فريدرك نيتشه – إرادة القوة – ترجمة محمد الناجي، أفريقيا الشرق – ص118.

15: فريدرك نيتشه – إرادة القوة – ترجمة محمد الناجي، أفريقيا الشرق – ص117.

16: حوار ميشال فوكو ودريفوس ورابيناو، ترجمة محمد بولعيش – هم الحقيقة، منشورات الاختلاف ط1- ص67.

17: حوار ميشال فوكو.. المصدر السابق، نفس الصفحة.

18: حوار ميشال فوكو.. المصدر السابق، ص68.

M.Heidegger qu'appel t-on penser? PUF, 1952, p.84.

* ترجمة عربية متوفرة «طغيان الجمال» بصفحة الأوان بالفيسبوك.



مدخل ثانٍ

عندما تستيقظ،

لا ترغب بمغادرة الفراش



"أحيانًا تنهض عن الفراش صباحًا وأنت تفكر، لن أقوم بذلك اليوم، غير أنك تضحك بداخلك - متذكرًا كل اللحظات التي شعرت فيها بهذا الشعور"..

ذاك كان تعليق الكاتب شارل بوكوفسكي عن الحالة. نجد أن من ضمن أجمل الأشياء في العالم، هو حينما تستيقظ صباحًا بشكل مفاجئ فتنظر للساعة بجانبك، فتجد أن موعد صحوك سيكون بعد أربع ساعات أو ثلاث، إنه شعور طاغٍ بالفرح، حيث يمكنك العودة للانكماش تحت الغطاء الدافئ والاستمتاع بالسويعات الباقية من النوم. والغريب أن النوم لا يحلو إلا عند ساعة الاستيقاظ بالصباح الباكر. يصدر جسدك وعقلك مقاومة رهيبة بتلك اللحظة، فيظهر لك أن سعادة الحياة وكل ما فيها لا تُقارَن بتلك الدقائق من النوم.

العقل لا يكذب على صاحبه، إلا إذا تعمد صاحبه الضغط على عقله حتى يُصدّق أكذوبة معينة، بذلك فإن عقلك لا يكذب حينما يدفعك للبقاء بالسرير،ويحرّض جسمك على ذلك– التراخي والتلذذ

بالنعاس – لأن عقلك يدرك أكثر منك، أن ما سيأتي بعد النهوض من ذلك السرير هو البؤس الذي تمت زخرفته فبدى كأنه يمثل شكلًا من أشكال الحياة العادية.

عقلك يعرف أن بعد نهوضك من السرير، سينتظر معك تحت المطر أو البرد أو أشعة الشمس أن يظهر تاكسي، والذي يضيف كل مرة درهما رغم أنها نفس المسافة كل يوم!

أن يتعرض للزحام والتدافع بالباص، هذا دون ذكر رائحة البنزين الكريهة التي تنبعث من الحافلات، زيادة عن الرائحة الكريهة لأفواه البشر وهم يتنفسون بالقرب منك خلال الطريق.

عقلك يعرف أنه بعد الفراش وصمت النوم، سيضطر لسماع تحرشات مخلوقات لا تفهم إلا من أسفل جسمها: حيث من هناك تتكلم وتتخلص من فضلاتها على حد سواء. عقلك يعرف أنه ملزم بعد السرير أن ينصت لأكاذيب الناس وسخافاتهم، وأوامر رئيس العمل وصراخه أو ترهات المُدرّس، يعرف أنه من المفروض أن يرى التزاحم والتدافع وقلة الآداب والذوق وانعدام المسؤولية والاحترام.

عقلك يهمس لجسدك بأن يتآمرا حتى يقيداك بالسرير، لمصلحتك لأنهما يعلمان – من خلال التجارب السابقة – أن الحب والثروة والفن ومباهج الحياة غير مرتبطة بالصباح الباكر، بل إنه "العمل والدراسة" وكل ما يحوّل الإنسان من مخلوق هائم وراقص ومتأمل إلى

آلة تنتظر أن تنفذ بطاريتها بنهاية اليوم حتى تعيد شحن نفسها بالنوم، رغم أن النوم هو "العالم" حيث توجد المساواة والبراءة والعدالة والنعومة والخيال الذي ينقص حياتنا، سواء كنتَ نائمًا على سرير ملكي أو حصيرة، فحتى في الصلاة تجد الإمام يجسد على سجادة فاخرة، شاعرًا بنعومتها دون باقي المصلين، النوم هو اليوتوبيا والعالم المثالي الذي نحلم بالعيش فيه، غير أننا نعيش لنحلم فيه!

النوم والكسل أحلى من العسل، هذه الحكمة التي يدركها عقلك وجسدك، وتتجاهلها أنت مصدقًا كلام التلفاز والمجالات السخيف والمصطنع،إن النوم كما يقول دالاي لاما: "هو أفضل طريقة للتأمل"، لا حاجة لك باليوغا أو الأيروبيك وما سواه من تلك الأمور المتعبة، يحتاج الإنسان في عصرنا لوهلة من الراحة، ووقفة للشعور بالهدوء والطمأنينة والاسترخاء، لا القفز والجهد في عالم سريع لا يتوقف حتى يصدمك بحائط من الوهم! في أقوال أخرى يُعتبر النوم أفضل دواء! خاصة إذا كنت تعاني خطبًا ما كجرح أو كسر أو وجع ضرس. الأكثر من ذلك وكما يقول إميل سيوران:

"كل شخص حينما ينام يصبح نبيًّا، ما إن يستيقظ حتى تزيد نسبة الشر في العالم".

لذلك يتصرف كل من جسمك وعقلك بذاك التثاقل عند الصباح، لا يرغبان بملاقاة الأشرار!

في رواية لكونديرا (فالس الوداع) كَتَب يقول:

"في هذا البلد،لا يحترم الناس الصباح. إنهم يوقظون أنفسهم بفظاظة بوساطة منبه يقطع نومهم بضربة فأس، ويستسلمون في الحال لسرعة مشؤومة.. هل باستطاعتك أن تقول لي ما يمكن أن يكون عليه نهار يبدأ بهذا الفعل العنيف؟ ما الذي يمكن أن ينتج عن أناس تنزل بهم منبّهاتهم صدمة كهربائية صغيرة يوميًّا؟ إنهم يعتادون كل يوم العنف وينسون كل يوم ما حفظوه عن السعادة. صدّقني صباحات الإنسان هي التي تقرر طباعه".

***

مدخل ثالث

أن تكون أنثى في المجتمع الحقير



المرأة هي الإناء الوحيد الباقي لنا لنفرغ فيه مثالياتنا

يوهان غوته



يجب أن تخفي نفسك فأنت فتنة وعورة وحرب وشيطان وتؤذي أعين الصالحين، ثم فجأة يجب أن تتفتح كما تتفتح أزهار الرياحين، فالمرأة لها مكانة بالمجتمع – حتى لو لم تصل لمكانة الرجل ولن تصل! هكذا بالمجتمع الحقير تصبح كأنثى، شبيهًا بجوكر باتمان، شكل بهلواني يحاول كل رجل أحمق أن يفرض عليه ما يلائمه هو كرجل!

أن تكون أنثى بالمجتمع الحقير، هو أن تشعر بتمزيق يخترق وسطك ويقسمك نصفين: نصف مظلم شبيه بالليل، ونصف شبيه بدُمى أزياء العرض! هو أن تشعر أن الجميع يدخل فيك ويتداخل فيك، ويستمرون بالتزاحم فيك وفيما يعنيك حتى تتمزق!

عندما تجد نفسك أنثى بالمجتمع الحقير، تجد جسدك بما يحتويه من أضلع وأفكار، خريطة تطبيقية لتعليمات مجلّد القانون: الذي يختص بصفحة واحدة فقط للرجل!

يتحرش بك الطفل والبقال، والبواب والمدير والبطالي واللي يسوا واللي ميسواش.. إلخ من الكائنات التي لا تحيض!

يجب ألاّ تبرز جمالك وحسنك ومفاتنك، رغم أن ذلك لا يمكن! وبنفس الوقت يجب أن تبدي "غنجًا ودلالًا ورقّة"، لا أن تكون شبيهًا بالرجال!

"رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.. وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا.."، هذا لا ينطبق عليك، لأنك ضلع أعوج مفطور على العقاب! ويجب أن تُعاقَب وبشدة على ما تقترفه يداك.

تُمنع من التصرف بحرية، يجب على حركاتك أن تكون محسوبة ومدروسة كأنك ترقص الباليه بشكل دائم: في جلوسك، وقيامك، ونومك وسهوك، وذلك إلى يوم القيامة.

لا يمكنك أن تذهب إلى أي مكان بأي وقت ولوحدك، لست رجلًا ولن تكون!

إذا شعرت بالغضب: احسب من 1 إلى 10 ثم اكتم أنفاسك واجلس، إذا عبّرت عن سخطك ستموت (بتعبير أوضح سيقتلونك بعد تعذيبك)!

أحيانًا بل كثيرًا، تشعر وكأن قيمتك الوجودية مختزلة في أن تستلقي فاتحًا ساقيك أو تنحني ليرتفع خصرك!

تشعر بشكل مستمر، حتى أنك تختنق بهذا الشعور، بأنك كائن تأتي خلف كائن آخر مطابق لك غير أنه أكثر زَغَبًا منك في وجهه.

هذا الكائن الأخير المذكور،يؤسس حياتك وتصرفاتك ورغباتك- رغم جهله الشديد اللانهائي - كأنه يعرفك أكثر منك!

مهما تجمع من مال، فلا قيمة له إلّا إذا أنفقته على الكائن المُزغّب (المشعّر) الوجه هذا، ونجاحك لا يكسب قيمة إلا بِنَسْبه له؛ حتى لو لم يساعدك! فمن يساعدك يُتّهم في جنسه ورجولته (الوهم الذي ابتُلينا به منذ اليونان القديمة: رغم أن الإسكندر ذا القرنين الملك المعظم والرجل المهاب، كان مخنّثًا يطيع أمه! زد على ذلك رموزًا رجولية تاريخية لا حاجة لذكرها فقد تصدم سامعها). المهم أنك تستشعر أن اللعنة التي تطالك تطال الرجل المتساهل معك (فالقسوة مع النساء دليل على البراعة الجنسية وحجم القضيب.. لقد بُلينا بقوم أغبى من الغباء، حسبي الله)!

إذا تشبّهت بالرجل، يمكن التغاضي عن ذلك، إما إذا تشبّه رجل بك، فالويل لمن يشبّه نفسه بكائن حقير! (على فكرة، المثليين مساكين أكثر كُرهًا وتحقيرًا اجتماعيًّا من النساء، لا لشيء إلا لأن بعضهم يتشبّهون بالنساء).

يمكن لأيٍ سواء أكان:

إنسانًا أو كلبًا أو سيارة أو مسمارًا، أن يحادثك رغما عنك، يهينك، يزعجك.. والعيب عليك إذا اشتكيت أو انتفضت!

من كثرة تهديدك بالاغتصاب، تخاف من الكرسي والحائط والمطر! لربما تتعرض له من طرفها! بل تخاف من صديقتك حتى وهي على فراش المرض عند زيارتها (فمن الممكن أن تقفز وتخنقك ثم.. أستغفر الله!).

لا يجب أن تفكر في الجنس أو تتحدث عنه أو تشاهده أو تمارسه أو حتى يتملكك الدافع إليه، وإذا حدث وتم ضبطك في موقف شبيه أو قريب إليه (دون إجماع ب "سماح مسبق" إثر حفلة تشهيرية يحضرها كشهود من هبَّ ودبَّ غرضهم الأكل والتلصص على الأرداف.. ويا ويلك إذا لم تترف بين ساقيك تلك الليلة!) فاقتل نفسك لتنجو!

بالأخير كل تصرف أحمق أو ظالم تجاهك، فذلك لأنك أنت من يريد ذلك! فهم يعرفونك أفضل منك!

أن تكون أنثى في المجتمع الحقير، هو أن تتحمل أكثر من طاقتك، فأنت كائن لا تقول ما تريد عندما تريد (بذلك يعطونك أكثر مما تريد أو حتى ما لا تريد!)، وإذا انزعجت من شيء فتلك سمتك في التعبير عن رغبتك بالعكس (الزيادة في ذلك الأمر المزعج بالنسبة لك):

فالكل يعرف جيدًا (أكثر منك)،أنك كائن محتال،ورمزي، ومتلاعب، وكيده عظيم جدًا..يلزم التعامل معه بشكل معاكس لرغباته وطلباته.

أن تكون أنثى في المجتمع الحقير، هو أن تكون كائنًا "لا يزال بعد مجهولًا" بين قطيع من الجاهلين!

أن تظل ممزقًا بين:الخوف من الاقتراب، ورعب الابتعاد والوحدة.



الجزء الأول

تاريخ الأنوثة المسخوط
أو
وراء كل امرأة عظيمة هي نفسها



1 - ما العورة؟



يعربد في داخلها وجوه عدة، طفلة خجولة نارية ومحبة،

وشابة متمردة ومتخبطة، وعجوز جميلة جدًّا

نسمة العلوك

***



ما العورة؟

طبعا قد تنهال التعليقات عن هذا السؤال دون إجابة محددة وواضحة: أحدهم سيقول هي المرأة، آخر سيعتبرها مفاتنها الجنسية، آخرون يعتقدون أنها الأجهزة التناسلية سواء لدى المرأة أو الرجل.. لكن إذا عدنا للاشتقاق اللغوي للمصطلح حتى نحدد مفاهيمه ودلالاته الاجتماعية، سيتضح لنا الكثير، وما هو أبعد عما توارثنا فهمه حول هذا المصطلح/الرؤية.

لمفهوم "العورة" عدة تمثلات أبرزها:

العيب، الشق، الخلل، الضعف..

هذا يحيلنا لملمح آخر وهو "الأعور" - نصف بهذا كل شخص له مشكلة في الرؤية، وهو دلالة كذلك عن سوء التصرف أو "الرداءة"، لكن أبلغ تحديد مفاهيمي ل"الأعور" هو الشخص الذي فقد عينه، فصار مكانها فراغا، فمن لم يفقد عينه ولديه مشكلة بالرؤية يمكن أن

يكون "أحوَل" وهو الذي تنظران عيناه في اتجاهين مختلفين في آن واحد، ويمكن أن يكون "ضريرًا" لا يستطيع الرؤية أو "أعمى" فقد بصره/عيناه.

أما بالنسبة ل"الأعور" فالتحديد يتم انطلاقًا من فقدانه لعين، ما يجعلها فارغة: فيصبح أعور أي ذا نظر ضعيف (ما دام نظر عينين يتفوق على نظر عين واحدة) – نجد هذا الوصف في التراث الديني فيما يتعلق بوصف المسيح الدجال (الأعور).

بذلك وكما درجت الأمثلة والمفاهيم والتمثلات الاجتماعية حول المرأة باعتبارها "عورة"، فهذا يكشف عن وصف محدد للأنثى:

باعتبارها ضعيفة أو ذات فراغات/شقوق/عيوب يمكن أن يتخللها العدو – وهذا ما ينطبق عن عورة الجيش: حيث تعني نقط الضعف التي يمكن أن يستغلها العدو – هنا العدو بالنسبة للعورة هو "الشيطان": بما يشير للإغواء، الشهوة، الجنس.

فبحسب الثقافة المتوارثة شعبيًا – بجوهرها السخيف – فإن المرأة عورة بما أنها ضعيفة (مقارنة بالرجل) أمام الإغواء/الشيطان/الجنس.

طبعًا لا تتوقف العورة على الأجهزة التناسلية بحسب الثرثرات الدينية، باعتبار أن "العورة" مفهوم ينطبق على كلا الجنسين! غير أنه من الملاحظ أن هناك تشديد على الإناث، فلو أن "العورة" تتعلق بالأجهزة التناسلية، فلما التشديد على تغطية نهدي المرأة.. يقفز

مفهوم آخر، والذي يرى في "العورة" كل ما يشمل المفاتن الجنسية، لكن لما يتم استبعاد الرؤية الأنثوية بهذا المفهوم: أي يتم اعتبار صدر المرأة فتنة جنسية، وليس صدر الرجل، والجدير بالذكر هو أن المرأة يمكن أن ترى في شفتي الرجل وذراعيه وعينيه وحتى عطره مفاتن جنسية.. فحينما يتعلق الأمر بالفتنة الجنسية فالمفهوم قد يتسع ليشمل عدة أشياء!

ذلك ما يوضح سعي بعض التوجهات الدينية، التي وسّعت من مفهوم فتنة الأنثى (عورتها) لتشمل - ليس فقط شفتيها وعينيها وقدميها - بل حتى صوتها:

فتصر هذه التوجهات على كتمان صوتها/مطالبها. بذلك ترى المذاهب المتشددة دينيا، بأن المرأة بأبعادها: مجرد عورة/عيب/شقوق يجب سترها وإخفاؤها حتى لا يقربها العدو (حمايةً لها).. أوليس أكبر عدو لها هنا هو من يؤطرها ضمن هذه المفاهيم الخاصة؟ وهي (المفاهيم) التي تنطبق كذلك على الرجل.. أوليس صوت الرجل فتنة (عورة) من جانب رؤية ما؟

***

فما العورة؟

إنها دلالة تاريخية تكشف أن أكبر عدو للنساء هم الرجال، وخاصة النساء اللواتي يفكرن بعقلية الرجال.. إن الرجل بطبعه عدو مُتخفٍّ للمرأة!

2 - ليست لدينا امرأة..



لدينا رُمّانة!

والتفاحُ هو فاكهة الشهوة، وغموضُ الخطيئة

وجرعة الأحقاب التي تحفظ العلاقة مع الشيطان

فيديريكو غارثيا لوركا

***

رضيع ورضيعة، طفل وطفلة، فتى ورمانة، رجل وإجاصة، شيخ وتفاحة فاسدة (لا أحد ربما يرغب بأكلها): يتحدد مفهوم الرجل انطلاقًا من عوامل إنتاجيته، أما المرأة فما يحددها هو نضجها الجنسي.. نشير للفتاة التي تتصرف كامرأة: "وكأنها امرأة!" - ليس انطلاقًا من نضج تصرفها، وإنما من دلالته أو إيحائه الجنسي (تصبح حركة جسدها كاشفة عن مفاتنها، وهي مفاتن النساء وليس الأطفال!).

هناك تاريخ طويل، لا يرى المرأة كإنسان، ويكفي أن نعود للاشتقاق اللغوي الذي يفضح هذه النقطة: فنجد أن مرادف الإنسان هو الرجل بشكل خاص ومحدد، فكلمة Homo اللاتينية والتي تعني إنسانًا Human باللغات الحديثة، اختُزلت إلى Homme (رجل) وهي تحديد فرنسي للرجل، غير أنها تُستعمل بالغالب للإشارة للإنسان، ويكفي تفحص كتابات القرن الثامن عشر والتاسع عشر

كذلك حتى الآن، سنجد أن لكلمة Homme دلالة عن الإنسان، بالرغم من أن المرأة يشار لها ب- Femme، ولا غرابة في الأمر إذا انتقلنا للإنجليزية حيث نجد أن كلمة Man وهي تحديد للرجل، تُستخدم بالغالب للتدليل على الإنسان (والمرأة ب- "Wo"man كرفيقة للرجل/الإنسان).

ذلك يُعتبر نتيجة للتاريخ الطويل الذي يضرب في القدم لما قبل الميلاد والذي يمتد حتى القرن الثامن عشر، وهو التاريخ الذي ما فتئ يتساءل حول طبيعة المرأة، ليس لمساواتها أو تشبيهها بالرجل - ما دام أنهما طبيعة ونوع واحد كمقارنة - بل للتيقن السلبي من توفرها على روح (جوهر إلهي) مثلها مثل الرجل: تأكيدًا على انعدام العقل، ومن التصنيف المباشر مع الطبائع الحيوانية التي تعجز عن التحكم بالغرائز، بظل غياب العقل أو الجوهر الإلهي (الروح).. المرأة هنا من طبيعة حيوانية: يلزم السيطرة عليها ومراقبتها واستغلالها وترويضها!

ولم يتوقف التفكير الذكوري التسلطي (السخيف بجوهره وبنيته) على هذا الأمر، فبما أن طبيعتها حيوانية، وهي مدجنة بالنظام الاجتماعي الصحي والمضبوط، فبذلك حتى التلقائية الحيوانية والحرية الغريزية تُسلب منها هنا (حفاظًا على أمان الجماعة):

الأمر الذي يجعلها مختزلة في طبيعة حيوانية جامدة - طبيعة جامدة، كـ-"الفواكه".

إن وظيفة الفواكه هي النضج، ومن ثم يتم قطفها، أكلها والاستفادة ذكوريًّا منها! هذا يجعل الأمور تتحدد انطلاقًا من مفاهيم المُؤدِّي أو المُعالِج أو السيد السادي المبادِر: فقيمة الفاكهة ترتفع انطلاقًا من رغبة الإنسان (الرجل) بها، على هذا المنوال مكانة المرأة وقيمتها (التي رفعها لها دين الرجل) تأتي انطلاقًا من مفهومية الرجل لهذه المرأة: التي لا يمكن أن "تكون" دونه، ولا يمكن أن تعيش دونه.. فكينونة المرأة وُجدت من قِبل الرجل، بذلك يُحدد وظيفتها وقيمتها المختزلة في الجنس: إذا هربت فهي خرجت تبحث عن الجنس، وإذا ظلت / جلست /سكنت فهي تنتظر الجنس، وإذا ما هي ثارت/انفجرت/انتفضت فهي انفعلت لأجل الجنس– لتمارسه أو لأنها لا تمارسه – والتحرر من ملابسها!

هنا طبعًا، إذا لم يتم استغلالها والاستفادة منها (أكلها)، فجب أن توضع فورًا بالثلاجة! لحمايتها والحفاظ عليها (حتى لا تفسد!)، أو تغطيتها بقطعة ثوب أو ورق السولوفان!

ما تم استخلاصه من هذا التاريخ، هو أن المرأة لا تستطيع العيش دون رجل، لكن الأصح هو أن المرأة لا تستطيع أن تعيش دون شوكولا وقطع بسكويت وكوكيز! لقد تم تضخيم حاجة الأنثى للرجل، نظرًا لأن الرجل هو الذي لديه حاجة جوهرية للأنثى: حتى يؤكد ذاته كموجود سامٍ! ويوسعّ من أبعاد جسده الضيقة مقارنة بجسد الأنثى المتعدد الأبعاد (نظرا للاختزال المكثف له فنيًّا وعمليًّا

وإعلاميًّا): فهن يعتنين به أكثر من الرجل،وخوفهن الوهمي من السمنة والنحافة يطغى على جل مخاوفهن.. يحرر الرجل جسده ويكتشف أبعاده وكينونته من خلال جسد الأنثى (المُرمّز جماليًّا/جنسيًّا).

أما الأخيرة (المرأة) فيتم تسليط الضوء على خوفها من عدم اهتمام رجل بها وكأنه خوفها الوحيد، بالرغم من أن لديها مخاوف مساوية – أو حتى تتجاوز ذلك – كخوفها من فقدان صديقة حميمة (أو فقدان قطتها الصغيرة أو جرو تعتني به).. طبعًا، أي رجل سيرغب بأن يُقارن مع قطة؟!

***

3 - أنتِ أنثى..

إذن أنتِ عـاهـرة!



عندنا مخزون من العُقد التاريخية المزمنة

تكفينا إلى يوم القيامة

نزار قباني

***

أكثر مخاوف الأنثى أن توصم ب-"العاهرة"! على هذا الأساس يصرّ الرجال (والنساء على حد سواء) نعت كل أنثى - لا تلائم المزاج - بالعاهرة. حتى الرجل تتم إهانته باستدعاء الأنثى، إما كحبيبة أو كأم، فيوصف بابن "العاهرة" أو زوج "العاهرة"، ولِمَ لا أب "العاهرة"؟ لأنه حسب الكوجيتو (الموضوع) الذكوري:

أنتِ أنثى، إذن أنت عاهرة! فكلّ أنثى هنا (في عالمنا) عاهرة!

في إحدى المقالات للكاتبة رفيدة ياسين المعنوَنة بت"أنا إثيوبية، إذن أنا عاهرة!":

ما جاء بعد هذا العنوان، هو قصة فتاة إثيوبية جميلة تقوم بسياقة سيارة أجرة، وهي (السيارة) التي ستجمع الكاتبة ببطلة المقال، والتي هاجرت من إثيوبيا إلى السودان مشتغلة في عدة مهن، حتى انتهى بها الأمر سائق تاكسي بإمارة دبي، وليس "سائقة" ما دامت الكاتبة قد عجزت - كما ذكرت - عن التعرف إلى أنوثتها لأن شكلها صار ميّالًا للذكر أو حتى الذكر "المخنث" على أقل تقدير. والسبب في

ذلك هو أن "العاهرة" هي الزاوية التي كان ينظر منها الرجال لها في المهن السابقة التي اشتغلتها كـ-"أنثى"، دون التطرق للإهانة والحكم المطلق بأن الباحثة عن عمل أو رزق: باحثة عن الجنس بنفس الوقت! فقامت كميكانيزم دفاعي لحماية الذات والكرامة، بإخفاء معالم أنوثتها. لكن معالم الأنوثة لا يمكن إخفاؤها لأنها "الإنسان"، الإنسان وهو يعي الجمال من حوله، ويدرك أن صورته هي أبهى صور الجمال، صورة الأنثى!

حتى آلاء سعد، ككاتبة بسَطت مقالًا عن يوم عاشته - وتعيشه معظم النساء - حينما تحرش بها رجل أمن (من أمام مقر عمله!)، وكرد فعل طبيعي من أنثى لا ترى نفسها أقل من كائن لا يتميز عنها سوى ببعض الشعر في وجهه! قامت بصفعه فرد لها الصفعة بقولت زائد.

كانت تلك المشاحنة مع انطلاقة يوم آلاء، أما نهاية اليوم فتكرر السيناريو مع أربعة رُكاب على «متوسيكلين»- كما بتعبيرها - لكن أحد هؤلاء لم يرد الصفعة بالصفعة بل حاول خنقها - كـ-"حد" العاهرة عند مذهب البلطجية! - وبعد تدخل الناس لفك النزاع، وما دامت الكاتبة تحاول فرض رؤيتها لنفسها كإنسان كامل الصلاحية والحقوق، صرّح لها أحد المتفرجين - خبراء نقل الحوادث اليومية لمقهى الحي! - بكل جرأة وهو يقول:

"لو ما كنتيش «عاهرة» ماكنش عملّك حاجة!"..

لذلك تعمدت الكاتبة أن تفتتح عنوان مقالها بـ-: أنا لست «عاهرة».

ليس للعاهرة من مفهوم محدد بظل الثقافة المجتمعية، يُعرّف العهر في اللغة على أنه الفجور والزنا أو البورنو بأوسع معنى، فالعاهرة كزانية وفاجرة تختلف عن المومس بأنها تمارس الجنس دون حتى تقاضي أجر (وهو شرط عند الأخيرة). إنما تمارس العهر لأجل العهر لأنها عاهرة. لذا بدلًا من التحليل الخطابي الممل والذي يملأ العالم منذ زمن أفلاطون، سنحاول أن نحيط بمفهوم محدد للعاهرة، وذلك عند مختلف الشرائح الثقافية والطبقية بالعالم الاجتماعي.

1:يرى المترمتون الدينيون (اليمين السلفي المتطرف) في كل من لا تضع نقابًا عاهرة، فخلع النقاب نوع من العهر حسب الرؤية الفكرية لهذا الاتجاه.

2:يرى المترمتون الدينيون الأقل تزمتًا نسبيًا من النموذج السابق، في كل من لا تضع الحجاب عاهرة، فتعرية الرأس نوع من العهر.

3: يرى المترمتون الدينيون الحداثيون (لباسهم كباقي لباس الجميع)،في غير المتديّنة عاهرة.. طبعًا هذا أمر لا يحتاج للنقاش! بل يرون في كل من لا تطيع الأب أو الأم في كل أمر عاهرة. حتى لو

كان الوالدان لا تتجاوز قدرتاهما العقلية المعوذتين وحديثًا غير صحيح.

4: يرى المتزمتون الدينيون الأكثر تطرفًا (كداعش والقاعدة وبوكو حرام... إلخ).. هؤلاء لا يرون!!

5: يرى المتحزبون السياسيون، في كل من تصوت لصالح الحزب المعارض عاهرة، لأنه تم شراؤها أو لربما تمارس الجنس مع أحد أفراد الحزب المعارض.

5: يرى الأب المجتمعي، في كل أنثى ترفض ابنه عاهرة (خطبة زواج)، فطبعًا لن ترفض ابنه الرائع سوى العاهرة! كذلك الأم ما دامت تتبع سلطة الأب.

6: ترى الأم المجتمعية، في كل من لا تجيد الطبخ عاهرة، فالعاهرة هي ألتي لا تجيد الطبخ لأن سنوات مراهقتها قضتها في العهر والشارع وليس في البيت!

7: يرى "الإنسان الحمار"، في كل أنثى تملك قوامًا جميلًا أو أنوثة بارزة عاهرة، لأن العاهرة تبرز أنوثتها نتيجة احترافها العهر، لا تعلم هذه النوعية أن الأمر له علاقة بالهرمونات وأسلوب عيش كل أنثى (التغذية، الرياضة... إلخ).

8: يرى البطالي غير المتعلّم (من لم يتلقَ تكوينًا معرفيًّا أو تقنيًّا)، في المرأة العاملة عاهرة، لأنها حصلت على وظيفة نتيجة

ممارستها العهر مع المدير، وليس لمؤهلاتها العلمية التي يفتقدها هو!

9: يرى المتأزّم عاطفيًّا، في كل أنثى لديها أصدقاء من كلا الجنسين عاهرة، فالعاهرة هي من تعرف رجال، أما الباقي فيجب ألا يعرفن رجلًا غيره!

10: ترى المرأة في كل أنثى يقع في حبها الشخص الذي تحبه هي (سواء كان يبادلها هي المشاعر أو لا) عاهرة، لأن العاهرة هي فقط من تغري الرجل ليتركها (أي ليترك امرأة أخرى)، حتى لو كان الرجل يفضل واحدة على أخرى، تظل المفضَّلة عاهرة في عين غير المفضَّلة عنده.

***

أما المهووسون الجنسيون فيرون في كل مؤخرة بارزة تتحرك عاهرة!

تختلف صورة الرجل بالمجتمع عن صورة المرأة، ما دامت هذه الأخيرة محمّلة بالشرف والأسرة والسمعة وتقييد الحركة، أما الرجل فله حرية الممارسات الاجتماعية دون قيد بما فيها المحظورات الأخلاقية كالسُّكر وتدخين الممنوعات والرقص والغناء بالشارع أو حتى الصراخ بما في ذلك معاكسة النساء والتعدي على حريتهم الوجودية كحق في مساحة ذاتية وعدم المساس بملابسهن أو

أجسادهن. ومن ضمن ذلك ما دفع الكاتب علي شريعتي ليقول: "أُشفقُ على الفتاة حين تسوء سمعتها؛ فهي لا تستطيع تربية لحيتها، لتمحو تلك الصورة". فكل تصرف غير محسوب يُسقط سمعة المرأة، أما الرجل فيكفي ألا يكون مثلي الجنس ("شاذًّا جنسيًّا" بالتعبير الشعبي) وأسوأ ما يقوم به يهون ساعتها؛ بل حتى لو كان مثلي الجنس، فيكفي ألّا يُبرز ذلك كثيرًا كيلا يُشبّهه الناس بالعاهرات.

إن العاهرات كائن أسطوري، خلقته المفاهيم المشوّهة. فمن هي العاهرة إذا كان البشر لا تمر لديهم خمس دقائق كاملة إلا وتقع فكرة جنسية في أدمغتهم؟ بل إن غالبية سهوهم يكون سهوًا بالتفكير في الجنس كترتيب لسيناريوهات.

أخبَرني مرة أحدهم، عن امرأة وهي شخصية بارزة اجتماعيًّا، وُضعت لها صورة بالجريدة من ضمن أهم الشخصيات الناجحة اقتصاديًّا، فوجد تفسيرًا لثروتها بأنها عاهرة تقيم جلسات عهر مع شخصيات خليجية، وكنقطة أثارت نفسها هنا، فإن العديد من الناس يعتقدون أن الخلجيين كلهم أغنياء! فالاعتقاد بأن الخليجيين أغنياء، مثل الاعتقاد بأن الأفارقة عدّاؤون كلهم وبأن المسلمين جهاديون كلهم، وبأن الأوروبيين شعرهم أشقر كلهم! أخبرت ذلك المعتوه ساعتها أن ثروة تلك "العاهرة" التي تحدث عنها جاءت عن طريق إرث عائلي ثم امتدت بإدارة أعمال ناجحة، واستثمارات خارجية لربما تجد خليجيين يشتغلون عندها.

الغريب في كل هذا، تجد شخصًا ينعت امرأة ما بالعاهرة كصفة أمامك، وفي الغد تجده يغازلها ويطاردها كالكلب (وهو أمر واقعي يحدث يوميًّا). فهل هو تمرين ذهني لإسقاط من قيمة الأنثى خوفًا من عدم تحقيق سيطرة أو سلطة عليها؟ أم ذلك نوع من التلاعب النفسي كتصنيف للأنثى في خانة الرفض والنبذ حتى تهرع لأول من يمد يده نحوها لانتشالها وحمايتها؟ بل إن أسوأ ما في الأمر هو عندما تتلطخ سمعة الأنثى (بما في هذا المفهوم من فراغ وتلبّس عقلي) فإنها غير معنية بتصحيح صورتها أو تغيير صفتها، بل ذلك يعود للرجل، وتدخُّله في هذا الشأن الخاص، كشرط لإعادة السمعة والكرامة.

حينما يفهم الرجل المرأة، ستنتهي معاناته نحوها. وفهم المرأة هو التوقف عن اعتبارها خصمًا للرجل.

فأسوأ اعتقاد بُلينا به في التاريخ الحضاري للجنس البشري، هو اعتبار النساء منافسات وخصوم للرجال لا يجب أن يتفوّقن عليهم، هكذا دخل الجنس الغبي في لعبة!

مرة وأنا أمر قمت بتحية شخص أعرفه، أو هو قام بتحيتي، فأعدت التحية متلفظًا اسمه "جواد"، فرد بطريقة ساخرة وحزينة كأنه سيبكي: "بل جوادة، أنا لستُ رجلًا بل صرت امرأة"، ولولا نسبة الاحترام المتولدة بيننا لكان سيقول "بل صرت عاهرة". لم أفهم كيف ربط بؤسه الاقتصادي في ذلك الظرف (الزماني/ المكاني) بالعاهرة! الغريب في الأمر أن المومسات يهتممن بأنفسهن وباقتصادهن.

حتى أعرف بعض الرجال الذين يفتخرون بصورهم الاجتماعية ك–"سبع البرمبة"،يقومون بالاستدانة من مومسات أو نادلات المقاهي في الخفاء! فمن "العاهرة" هنا؟!

***

4 - تاريخ للرجال..

وتاريخ للعاهرات!



إن الأمـر يتعلـق بمـا يجعلنـا عـاجزين عـن الحيـاة، أي بتقليص اقتدارنا.. أي يتعلـق ببـؤس يـصيّر علاقتنـا بجـسدنا مستحيلة، فيتقمصنا التبخيس ودم الحياة

¤ عبد العزيز بومسهولي

***



كما للنساء وساوس، للرجال كذلك وساوس. وكما أن للرجال مخاوف، فللنساء مخاوف.. بالمُجمل، للبشر وساوس ومخاوف (بغض النظر عن الجنس).

الاختلاف يكمن في اختلاف تاريخ الرجل عن المرأة، فتاريخ النساء الذي انطلاقًا منه– من معطياته – يتم تربية النساء، يختلف عن تاريخ الذكور. فتاريخ النساء، تاريخ صامت أو موازٍ – من الجهة الخلفية – لتاريخ الذكر المهمين. ولكم يحتوي هذا التاريخ – سواء بشقه الذكري أو الأنثوي – من الوساوس والمخاوف!

الوسوسة هي فكرة متسلطة تأتي للعقل كل حين، الفكرة تُذكّر صاحبها بوقوع أمر يخشى هو وقوعه،سواء تعلق الأمر بحدوث حادث مأساوي، عرضي، أو حتى لموقف اجتماعي محرِج– كأن يبدو سخيفا أو مضحكا– تختلف قوة الفكرة حسب المناعة النفسية للشخص ونِسب معرفته حول شخصه وخبرته بالمواقف الحياتية التي يتعرض لها،

من ضمن ذلك تفاعله مع الخبرات الجديدة وكيفية التكيف مع المتغيرات - خاصة الفجائية والفورية - كأن يجد نفسه في موقف محرِج، ويتجاوزه بمرونة.

إن كل شخص، قبل التفكير في البحث عن العلاج التشخيصي لوسواسه، يقوم هو بعلاج سلوكي - لا واعٍ - ثانوي، ذلك عن طريق طقوس يومية أو موسمية، لإبعاد حدوث الموقف غير المرغوب بالمستقبل. سواء بالطَّرْق بشكل معين لعدد محدد من المرات على شيء ما - كالطاولة أو الحائط.. إلخ - وهذا ما يُعرف بالوسواس القهري، حيث يقوم - انطلاقًا من اعتقاد الشخص - بأن ذلك التصرف سيُبعد الفأل السيئ؛ وما دامت الفكرة متسلطة بقوة، فإن الطقس (السلوك) يفرض نفسه على الشخص بنفس القوة.. سبق أن لاحظت مرة في برنامج تلفزي حول الوسواس القهري، شخصًا يقوم بالعض لعدد من المرات على زجاج نافذة السيارة وهو يسوق، وذلك باعتقاده كيلا يحدث أمر سيئ لأقربائه.

يُعتقد بأن الوسواس هو فكرة من الماضي تطارد صاحبها، مرة تعرض أحدهم لاعتداء جنسي وهو صغير، بعدها وحتى عندما أصبح شخصًا راشدًا وناضجًا، كان يعود كل مرة للبيت ليتأكد من أن كل شيء موضوع في مكانه - دون لمسه من قبل شخص آخر - لربما هناك شخص دخل للمنزل عندما خرج، وسيظل بانتظاره لحين عودته كي يعتدي عليه - شيء قريب الشبه من رجل الخزانة برواية

ستيفن كينغ – لكن الأصل في الأمر، هو أن "ذكرى" حادثة سيئة بالماضي، تنطلق لتجد لنفسها مكانًا بالمستقبل، وهذا ما يفسر توقع المصاب بالوسواس – في أسوأ أشكاله – لتكرار ذلك الموقف السيئ بالمستقبل..

ذلك ما يُعرف ب"أعراض" ضغط الصدمة:

فالموقف المُؤذي باعتباره صدمة،يُنتِج أعراضًا إثر ضغط "الصدمة"، تفعل فعلها بالعقل كإيحاء بأن هذا الموقف المهدِّد – لنفسية الشخص واتزانه العقلي– سيتكرر.. ما دامت الصدمة لم يتم حلها: أي التعرف عليها بإدراكها وتحليلها والتطرق لمسبباتها، من ضمن ذلك رد فعل الشخص اتجاه الموقف الصدموي بذلك الحين.

إن الوسواس – بما أنه في الجوهر مخاوف – يتم السيطرة عليها بالمعرفة، والإحاطة المعلوماتية بها كتمظهر أو كعرض أو كنتاج نفسي. ف"المعرفة سلطة" كما يقول فرانسيس بيكون، و"من لا سلطة له حرية له" كما يضيف علي حرب. أي إن من لا معرفة له لا قدرة له على التحرر من مخاوفه وأوهامه ومعتقداته التي تشل تطوره النفسي وإمكانيته لاستدعاء متطلباته – الجمالية خصوصًا – من الحياة. وبتعريف أوشو Osho ف"المعرفة دائما تُحرِّر"..

لن أتطرق للوسواس القهري – فهناك كتب طبية/نفسية كثيرة تتكلف بذلك – إنما أهتم في هذه الصفحات، بوساوس أقل درجة، لا تُعتبر بالعرف الاجتماعي على أنها وسواس أو مخاوف، غير أنها كذلك في عمق كل فرد اجتماعي، يكتمها بإتقان..

لكن قد نلاحظ أن اختلاف هذه الوساوس الاجتماعية عن الوساوس القهرية المرضية، لا يختلف سوى بالدرجة، أو بتعبير آخر لا يعتبر أنه مَرَضي ما دامت الجموع مصابة به، وليس هذا إشارة للدين، كما فكّك فرويد سابقًا الطقوس الدينية على أساس أنها أعراض لوَسَاوس قهرية جماعية بمعنى ما.

ما أود الإشارة إليه، هو أن التاريخ المزودج – بشقيه الذكري والأنثوي – هو الذي يقوم بزرع هذه الوساوس والمخاوف بالجهاز النفسي للأفراد، كصيرورة إنتاج معرفية للتفاعل مع الحياة الاقتصادية.

فمن هي الجهة التي ستستفيد من هذه المخاوف؟ والإجابة عن هذا السؤال هي التي ستأخذنا للحط على الأسباب التي مهّدت وسهّلت مأمورية مرور هذه الوساوس للأجهزة البشرية، خدمةً لمصالح الوضع الاقتصادي الاستهلاكي.

حتى المخاوف والوسواس صارت في عالمنا مادة للاستهلاك، يلزم – كموضة – أن يأخذ كل فرد جرعته منها.

ولا أقول إنه "عصر القلق" أو "قلق الحضارة" كما يذهب لذلك بعض المفكرين، إنما أقول أنه "استعراض للقلق" كوسيلة سلبية للتعامل مع تجليات الحياة والتمظهرات الإنتاجية للحضارة.

يُسمّي ذلك الكاتب عبد العزيز بومسهولي ب"الأقلوق" (كإشارة للغم والنكد أو ما يُنتج الغم والنكد)، فيقول عن ذلك، كإجابة عن التساؤل هنا مقتبسًا عن دولوز:

"نحن نعيش في عالم هو بالأحرى مزعج، حيث تكون السلطات القائمة، وليس الناس فحسب، في حاجة إلى أن تمرر لنا عواطف حزينة. فالحزن والعواطف الحزينة هي التي تقلص كل قدراتنا على الفعل. تحتاج السلط القائمة إلى حزننا كي تجعل منا عبيدا. يحتاج المستبد والكاهن وسالبوا الأرواح إلى إقناعنا بأن الحياة صعبة وثقيلة"(1).

إننا نملأ عالمنا بمقتنيات – قد لا نحتاجها أو لا نحتاجها بالغالب – فقط هربًا من مخاوفنا وجزعنا، ذلك يفيد طبعا المؤسسات الاقتصادية، فتخلّفنا النفسي هو ما يحوّلنا لزبائن فُرِضت عليها اختيارات– متعمَّدة إعلاميًّا كإشارة للتخفيف من توجّسنا – كي نتغلب على ما يقلقنا باستهلاكنا، وكما بإحدى اللقطات التلفزيونية، حيث تقول إحداهن: "حينما أقوم بالتسوق Shopping فإن العالم يصبح بالنسبة لي أفضل"!

وليس التسوق هو ما يجعل العالم أفضل، إنها الهرمونات التي تفرز بالدماغ وتنعش الجسد،حينما نقوم بما نحب القيام به أو حينما نعرف أننا نقوم بشيء هو ممتع لنا – يحقق لنا متعة.

و"المتعة هي الانتصار على الملل" كما يقول أنيس منصور.

1: عبد العزيز بومسهولي – الأقلوق كأساس لنمط الكينونة الزائفة – موقع الأوان.



5 - عذراوات وعاهرات

انقلاب الفكر النسوي على ذاته!



أنا أستقيل من الإنسانية. لم أعد أريد أن أكون، ولم أعد قادرًا على أن أكون إنسانًا.

ماذا سأفعل؟ أخدم الأنظمة الاجتماعية والسياسية؟ أسود حياة امرأة؟ أتصيد نقاط الضعف في النظم الفلسفية؟ أناضل من أجل القيم الأخلاقية والجمالية؟

كل ذلك هراء.

أنبذ إنسانيتي، حتى وإن كنت سأجد نفسي وحيدًا. ولكن أنا وحيد على كل حال في هذا العالم

الذي لم أعد أنتظر منه أي شيء

إميل سيوران



تنـــزعج النساء من المفاهيم التي تختزل هويتهن الوجودية في الترميز الجنسي، انطلاقًا من وظيفة الحمل: الجنس والأمومة.

لكن بعمق هذا المنطلق نجد أن المرأة من ضمن المساهمين في توسيع هذه الرؤية وفرضها.

فالنساء بالتعبير عن أنفسهن ووجودهن، لا يتخذن موقعا إنسانيًّا: لا يتعلق الأمر بتسوية أنفسهن مع الرجال، فهنا تكمن المغالطة! بل بترع هذا التأطير الجنسي وعدم الاندماج في اللعبة – لعبة أن على المرأة أن تبذل مجهودًا لتثبت أنها مساوية للرجل – هناك "إنسان" لا أقل ولا أكثر،أما الرجل والمرأة فهي محددات مفاهيمية تبلورت تاريخيًّا لا تحمل أي فائدة أو معنى أو مغزى أو دلالة، سوى جلب المشكلات والصراع والضغوطات النفسية، دون ذكر الإبقاء على الرجعية والأساطير والحماقات البشرية المتوارثة.

هنا ينقلب السحر على الساحر، بدل الصراع لإثبات مساواة المرأة للرجل، يسقط هذا التأطير بين النساء، بالسعي لتفوق كتلة نسوية عن أخرى، يتخذ الصراع منحًى مختلفًا: بسعي المرأة للدفاع عن ذاتها كأنثى شريفة عفيفة أو حداثية منفتحة، والدفع بمفاهيم العهر من نعوت وألقاب محملة بانفعالات جنسية مهينة، وذلك بإسقاطها على أخريات،أو الدفع بالتقزيم السياسي والاجتماعي كتقييد بالمطبخ. تصبح المتحجبات مدافعات عن أنفسهن مقابل الليبيراليات، والليبيراليات بدورهن يلقين باللوم على المتحجبات بهذا الوضع الذي تعيشه المرأة. والغريب في الأمر والذي لا تنتبه له جموع هاته النسوة، هو أن الخلاف ليس خلاف نساء بالأصل، بل هو خلاف منبثق من عقل رجل، من عقول الرجال المسيطرين على تاريخ الكتابة: فالرجل هو الذي يرى الأنثى من هذا المنطلق، من زاوية الجنس القطبية:

عاهرة/ شريفة، أم/ عاقرة، مطلقة/ متزوجة، بكارة/ بدون بكارة، متحجبة/ فيمينيست، طاهرة/نجسة.

ويكمن الانخداع الذاتي، حينما تأتي النسوة للتعبير والكتابة، فمن خلال طغيان الرجال الأدبي والطبي والسياسي، تأتي النساء لا لتكتبن كنساء وتعرين سخافات الرجل التاريخية التي تُراهِنُ على موقعه الرجولي، بل لتكتبن مثله وعلى طريقته وبمستواه الإدراكي في النظر للأمور: وذلك حتى لا تفشل ككاتبة، وتبرهن عندها بطريقة مباشرة،

بأنها ليست بمستوى المواهب الرجولية! فلنجاح المرأة بالكتابة، يجب أن تكتب كرجل، وقد تطرق البعض لهذه الإشكالية – من ضمنهم رجاء بن سلامة (بنيان الفحولة) بتوضيح أن الكتابة لا جنس لها – لكن كيف سيتم تأكيد هذه النقطة، وما زالت لدينا تفرِقات عولمية غير ذات معنى تتجلى في: أدب نسائي، أدب رجالي وما سواه؟ من ضمن ذلك عنوان الفصل الذي انفلت بنفسه "انقلاب الفكر النسوي..!

إن تاريخ العالم الذكوري، تاريخ حرب – كما في إشارة فوكو بأن "التاريخ الذي يحملنا ويحددنا له شكل الحرب بدأ! من اللغة:

علاقات القوة، وليس علاقات المعنى" – وحينما يكتب المحارب فإنه يكتب انطلاقًا من أزمة نفسية: وهي صدمة الحرب، وما يترتب عنها من حذر واضطهاد ومواجهة.. بذلك يتضح التاريخ الأدبي والسياسي (بما فيه الفلسفي): محمّلًا بالأزمات النفسية، والتي لمست بتأثيرها النساء على مر الأجيال.

بذلك فدور المرأة بتأكيد دورها المساوي للرجل، ليس سوى مواجهات قوة – بما هي قاعدة مفاهيمية ترتكز عليها عدالة الأرض والسماء،كما شرّح ذلك نيتشه – فليس هناك من مفاوضات مع محارب،هناك تنازلات تأتي انطلاقًا من ضغوط اخضاعه والقضاء عليه. فكلما أبدت النساء استعداد للتسوية، يُشهر المحارب معارضته

استعدادًا للحرب،أو الخضوع لجهته كأسير(ة) مستسلم(ة)، بالإمكان استغلاله(ا) اقتصاديًّا وجنسيًّا بعد إشباعه (ا) بقيم المتفوق: كما بمتلازمة ستوكهولم أو "في مديح الجلاد"! حيث يصبح الغازي منقذًا وقيده حماية.

إن اللامبالاة بتاريخ القيم الذكورية والبطولات الدونكيشوتية، هو الأنسب لاستثمار "الإنسان" لوجوده دون تأزمات صدموية، ما يفتح أفقًا وجوديًّا لاكتشاف أبعاد الجسد بعلاقته مع المتخيل (العقل) ضمن رهان البقاء والتوافق – سواء من خلال محددات طبيعية أو كونية أو حتى ذاتية أنانية – أي الحياة كأثر فني خاص (كما عرفه الإغريق) بعيدًا عن استبداد الأخلاق الفلسفية (اليونا–روما–سيحية–موية المسترسلة تاريخيًّا).

حيث يصبح الاستمناء ككتابة قصيدة، والقبلة اللسانية كتحضير الشاي! حيث لا عذراوات ولا عاهرات، ولا احتكارًا مؤسسيًّا للانفعالات والميول الحيوية.

"إنسان" بمساحة نفسية هواؤها غير مطعون أيديولوجيًّا.

***

6 - البلادة النفسية

أو تحمّل الواقع المر!



إن الطبيعة الساحرة وأحلام اليقظة والموسيقا يقولون شيئًا.

والواقع يقول شيئًا آخر!

أنطون تشيخوف

***

عندما ينتظر الإنسان أن يحدث تغيير ما في حياته، وينتظر أن يحدث تغيير ما في حياته - للأحسن طبعًا، فمن يريد تغييرًا إلى الأسوأ؟! - وينتظر أن يحدث تغيير ما في حياته، وينتظر، وينتظر، وينتظر، وينتظر.. ما الذي تنتظر؟ وينتظر، فلا يحدث شيء، لا يحدث أي تغيير، وينتظر، ومع ذلك يستمر ينتظر، يبدو أن هذا الفصل مُمِل! لا ليس الفصل هو المُمِل، إنه انتظار التغيير..

وينتظر، ويستمر ينتظر، ولا يحدث شيء! لماذا؟ لأن التغيير صناعة أيها الأغبياء! "الحياة صعبة، هذا لأنك غبي!" كما يقول جون وين John Wayne الشبيه برعاة البقر الأمريكيين! - هنا سيكولوجيًا سيظهر عليك شعور غير مريح، كحماية للأنا من الإهانة.

على العموم، في حالة انتظار التغيير، تحدث آلية نفسية قد لا ينتبه لها الشخص، ما هي؟ إنها نوع من البلادة السيكولوجية تَبْرز كآلية دفاعية لتحمّل الواقع المر. ولزيادة التفسير: فمن ينتظر من الواقع أو حياته أن تتغير فهو غير راضٍ عن واقعه الحالي، لهذا يرفضه، وبما أنه

يرفضه وواقعه ملتصق به لا يغادره – ولا يرغب طبعًا في الانتحار! – فإن البلادة هنا هي انعدام الإحساس الوجداني بالواقع. أي.. أي باد، أي تاتش، أي فون، أي شيء يستخدمه الناس دون فهم كيفية عمله: يحقق هروبًا مؤقتًا من الواقع ما دام يصنع واقعًا افتراضيًّا – سواء مع المواقع (الشات) أو ملفات الموسيقى أو الصور الشخصية السخيفة المخزّنة فيه – بذلك – وبما أن الواقع لا يتغير – فإنه يزيح (الفرد) وجهه عن كل ما يشير للسعادة: أي ينظر للأمور التي تُفرح الآخرين على أنها أشياء عبثية ويبدأ في فقدان مفهوم السعادة على اعتبار أنه وهم – مثل المصدومين عاطفيًّا والذين يعتبرون الحب كذلك وهم! فشكرًا لكم – بهذا يصل الأمر حد تجنب الأمور السعيدة! لأنه لا يرغب بأن يعيش أمورًا سعيدة ولم تتغير كثيرٌ من الأشياء في حياته "دي مصيبة".

والمصيبة الأكبر، هي أن البلادة تؤثر في الجهاز الانفعالي للإنسان، ما هو الجهاز الانفعالي؟ وأنا إيش عرّفني.. المهم أنه لا يهتم بآلام الآخرين وما يحدث لهم سواء بشكل إيجابي أو بشكل سلبي، رغم أن الأشياء الإيجابية في حياة الآخرين تدفعه لفاك دو وارد **Fuck the world** أي دونت فاك إن كير **I don t fucking care** وماسواه من الفاك **Fuck**، حتى دون أن يبدي اهتمامًا (تأثرًا) ظاهريًّا بذلك.

فيتقوقع على إثر ذلك نفسيًّا على ذاته، لا يهتم إن كان العالم سيتغير أو لا! ما يهم.. أو أنه يبدو دائمًا كأنه غير مكثرت.. لا ليس غير مكثرت، يبدو كأنه يفهم العالم بطريقة لا يفهمها سواه! لكنه بينه وبين نفسه ينتظر أن تتغير الأمور إلى أحسن، هذه الخواطر لا تراوده إلا أمام مرآة الحمّام بعد أن يتبوّل أو عفوًا ينتهي من التبوّل، ولا أعرف إن كان يغسل يديه أو لا؟! ولا أعرف كذلك إن كانت ترتدي سروالها دون تنظيف ***؟! وتراوده كذلك عندما يضع رأسه على الوسادة قبل أن ينام في الليل، لكن سرعان ما تهجم الأفكار الجنسية لتتغلب على تلك الخواطر، فيغلبه النوم ليستيقظ ولم يتغير أي شيء سوى أن اليوم زاد رقم، اليوم 12 يونيو/حزيران من هذه السنة، حزيران..

لكن، والأهم: ما السبب في كل هذا؟ إنهم يعلّمون الناس أن الصبر مفتاح الفرج، ومفتاح الفرج هو القضيب! فانتظر كما تشاء أيها الشاذ! ويعلّمونهم – حتى أنا – أي يعلّموننا، دع الأمور تأخذ مجراها وستتغير نحو الأحسن: مَن؟ لا شيء لا شيء.. لا شيء يحدث إذا كنت تنتظر حدوث التغيير أيها الكسول، يجب أن تقوم بالتغيير بنفسك، أن تأخذ مثلًا قيلولة! أن تقوم بالرقص أو وأنت جالس انكح العتارس (جمع عتروس وهو الماعز).

قال محمود درويش بعد تدخينه لكمية كبيرة من السجائر "على الأرض ما يستحق الحياة".. أي أرض كان يقصد؟ لقد تداخلت له الذكريات، بين أرض فرنسا وفلسطين، وهو في فرنسا ظن أن فسلطين تغيّرت.

لا تهتم ستتغير حياتك نحو الأحسن، وستتغير فلسطين، وسيتغير الوضع في البلد وفي السياسة وسيتغير الناس للأفضل.. أيها البليد إن الأشياء دائمة التغير، نحن من نَفرض التكرار، أو كما يقول فرويد بأن غالبية الناس يحكم حياتها التكرار، لا يسمحون للتغيير بأن يتخلل حياتهم لأن بَلادتهم تخفي عنهم "عُصاب التكرار" الذي أصيبوا به.

عرفنا الغالبية، ماذا عن البقية؟ البقية ذهبت للجهاد في سوريا وليبيا ومالي.

***

7 - الضيق النفسي

أو الاكتئاب كثقافة!



ضاقتْ بيَ الأرضُ..

الخنساء

***



كشعور نفسي، يشير الضيق إلى حالة المعنى بأنه مقيّد: والقيد يضيّق من ممارسته الحياتية، غير أن ما يقيّده كيان غير مرئي. يشعر الإنسان في حالة الضيق، بأن قوة ما تجثم فوق صدره، أو تُطوِّق رقبته – بتعبير أوضح: الضيق هو الشعور بالانزعاج والحزن دون سبب واضح. وحسب إميل سيوران:

"إذا حزنت مرة دونما سبب، فثق أنك كنت حزينًا طوال حياتك دون أن تعرف".

لأن الضيق يكمن في منهج الحياة، أما داخليًا فمجرد رد فعل – إسقاط (رافض) – لذلك المنهج.

الشعور بالضيق دافع للتخلص من القيود: وبما أنها افتراضية غير ظاهرة أو ملموسة، يصعب نزعها – بل لا يتم الالتفات لمصدرها، ليتطرق التركيز على داخل الذات.

حسب الثقافة المجتمعية، هناك تنافس بيولوجي اقتصادي، منذ الطفولة يتم العمل على تحفيز الأطفال للتفوق:

"يجب أن تأكل كي تصبح أقوى وأكبر من الأطفال الآخرين – "يجب أن تدرس أفضل من الآخرين" – "يجب أن تنجح" – "يجب أن تعتني بمظهرك ليبدو شكلك أجمل من الأخريات" – "يجب أن تتزوج (ي) بالأفضل.. إلخ.

وهو ما يفضح نوع البرمجة الممارسة على عقول الأفراد: على اعتبار أن ذلك (الأفضلية) هو ما سيجلب لك الحب والاهتمام والمساعدة والتقدير والائتلاف؛ ودونه تصبح خطأً تقنيًّا، يتم إهماله وتجاوزه حتى حين: حصول تلاقي مع خطأ تقني آخر، وتشكيل ثنائي عُصابي منفعل.

وطبعًا في ظل هذه البيئة التنافسية – التي يخفي فيها البشر عجزهم الفردي بإسقاطه على الخاسرين (والتماهي بنفس الوقت مع الفائزين) – لن يستمتع بالكعكة الاجتماعية – بما فيها من اهتمام وجداني ومادي – إلا القلة المتفوقة: كفريق فائز أو حتى فرد واحد (يمثل البطل المفتقَد في كل ذات اجتماعية).

أما البقية فتتقاسم أحاسيس الإحباط فيما بينها لتَداركُ ما تبقى من الدمار الداخلي: نتيجة صراع الرغبة (بالأفضلية) – لنشدان الامتياز

الاجتماعي (من جهة) – والنقص البيوعقلي الذي أدّى للانهزام (من جهة أخرى).

بذلك تُكوّن علاقات وائتلافات لتجاوز الهزيمة بتقليد ساذج للمتفوقين لا يلغي الإحساس بالإهمال الذي تفرضه الجماعة كمجال يصنف المنهزمين.

إن الشعور بالضيق، هو الإحساس الذي ينتاب اللاعب الذي يجد نفسه في منافسة مع احتمالٍ يميل لكفة الخسارة (خسارة الرهان بحياة أفضل وما يترتب عن ذلك من نقص امتيازات، من ضمنها "NoParty" حسب ضيق أفق البعض).

وبما أن الحياة المجتمعية الساذجة التي تنبني على المنافسات الإيكوسوسيولوجية (اقتصاديًّا واجتماعيًّا) تضغط بكلتا يديها على عنق الفرد ليضمن الفوز ولا يخسر.

على هذا النحو، تم تقزيم الإنسان وتشييئه في وظيفة: "حلاق"، "أستاذ"، "طبيب"، نجار"، "نخاس"، "ربة بيت"، "مغنية".. وهي في مجملها "ممارسات" وليست "ذوات" – المهنة جزء من ممارسات الإنسان، وليست الإنسان.

وهو ما دفع المفكر المُمِل ديفيد هيوم أن يقول – في كتاب تحقيق في الذهن البشري: "أيها الإنسان، كن فيلسوفًا لكن مع ذلك إبق إنسانا".

حتى لا يندمج الإنسان بذاته في ممارسته الفرعية من عدة ممارسات، تتحول على إثر ذلك (الممارسة الضيقة) لهوية تصنفه ضمن منافسة غبية تستقطب العقول الإقطاعية والقطيع – حيوانية.

أكثر ما يهم في الأخير من كل ذلك هي حياتك – بما أنها تتجسد كانفعالات وحالات نفسية – هي ما يلزم أن تستفيد وتستمتع بعيدًا عن صخب الضغوطات التي تدفعك لتصبح الأفضل: أي شبيه بأحد الحمقى السابقين الذي يبجّله أشباهُ القردة الاجتماعيون.

إننا تنافسيون بامتياز، وكضريبة مترتبة عن ذلك: الشعور بأن الواقع (باحتمال الخسارة) ينسحب من تحت سيطرتك كالبساط، والضيق هو نتاج الإحساس بفقدان السيطرة على سعادة الفرد. لأنه ضمن المنافسة: السعادة ليست سوى من حق المتفوق والفائز، لا أحد يتوِّج الفاشل – لكن من حق الفاشل أن يُسعد بفشله! هذا ما ترفُضه الروح التنافسية.

نأتي لنقطة مهمة – نظرًا لارتباطها بالموضوع – وهي "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، لكن في موقع آخر نجد "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون": يستمر شعور المؤمن بالضيق (حتى لو قرأ 1000 حزب) كخوف من ألا يحظى بمكانة مهمة – حسب أعماله الدينية – عند الرب الذي يتنافس حوله باقي المؤمنين: ما يعني أن آخر قد يفوز بمكانته عنده – أي بحبه واهتمامه وعطائه.

8 - التشرذم النفسي

أو الآنا عدة أشخاص!



أنا هو آخر

آرثر رامبو

***



حينما تصطدم التقاليد بالحداثة، كصراع لتشكيل هوية حضارية دون فقدان أي معطى - سواء تقليدي أو حداثي - يحدث التشرذم النفسي كسوء تكيف مع الواقع الثقافي المتغير تاريخيًا.

على هذا المنوال: وهو ما يحدث بالمجتمع العربي المتأثر بالخطابات الإسلاموية كأساس، وبالاستهلاكية المظهرية كأسلوب تأقلم ثقافي في ظل عولمة العالم تجاريًّا. يتمظهر التشرذم على مستوى العقل (ثقافيًّا) وعلى مستوى المادة (مظهريًّا) كالتالي:

يصبح الشخص المعني هنا فقيهًا حنبليًّا يوم الجمعة، ومغني روك أند رول مستهتر عشية السبت. فإذا التقيتَ به في يوم الجمعة فلن تفلت من أخذ حصة من الأذكار والأدعية، ومن التقريع إذا كنت ممن يتجنبون سماع خطبة الجمعة السخيفة والجالبة للاكتئاب؛ أما إذا كان يوم السبت فأنت مدعو لشرب كأس في بار حقير أو الرقص في ملهى رخيص، أو كأضعف إيمان التجوال بالمرافق التي تتكاثر فيها الفتيات

ذوات العطور الرخيصة المسببة للزكام، والمؤخرات المشحونة كهربائيًّا.

في شهر رمضان تندهش من تحول بعض الفتيات والنساء ل"رابعة العدوية"، أما في باقي الأيام السعيدة فهي مارلين مونرو أو سعاد حسني. أما في الأيام السيئة فتجدها كهاني شاكر أو حمادة هلال "دايمًا دموع دايمًا ألم...

إن الإشكال، ليس في حرية اختيار الشخص أن يكون غراندايزر أو جيمي هاندريكس أو حتى أسامة بن لادن بنفس الوقت؛ الإشكال هو في فرض الناس لآرائهم المتقلبة على آخرين سواهم، فقط كافتراس نفسي للآخرين كإشباع لأحاسيس التمكن الاجتماعي والتفوق على مستوى إدارة الواقع ذاتيًّا. يتلوّن الناس حسب شكل الواقع أو بتعبير أوضح حسب نوعية الحدث اليومي: إن كان عيدًا وطنيًّا يتم استدعاء إحساس قومي تعصبي مضحك، وإن كان يومًا احتفاليًّا فهَلُمّ لتدخين الماريجوانا، وإن كان عيدًا دينيًّا فلبيك اللهم لبيك!

إن ما يسبب الشعور بالذنب لبعض الناس، هم الناس المتشرذمون نفسيًّا، يقرّعك يوم الثلاثاء حتى تكره نفسك، أما هو فيوم الأربعاء سيكون شخصًا آخر، وتظل أنت تأكل نفسك! وكما في عنوان كتاب جميل للكاتب عبد الوهاب مطاوع "صديقي لا تأكل نفسك"،

فيا صديقي أو صديقتي لا تأكل(ي) نفسك، فالإنسان يأكل نفسه حينما يسمح للآخرين بأن يخبروه كيف يجب أن يعيش الحياة. فلنتخيل لو أن نيوتن وأينشتاين وأجاثا كريستي وأون سان سو تشي وأرسطو وسيمون دي بوفوار وشارلي شابلن ووالت ديزني وأديسون وبيل غيتس وجوبز ونزار قباني وتشايكوفسكي وما شابههم عاشوا الحياة كما فرضها عليهم الآخرون: فلم يكونوا ليوجَدوا لأنهم كانوا سيأكلون أنفسهم، كما تؤكَل الوجبات الأسبوعية المختلفة. الحياة يجب أن تُعاش كما تحب وليس كما يحب هو أو هي أو هن أو ما سواه من الضمائر المستترة.

ف"إذا لم تَكُنْ مَطَرًا يا حبيبي، فكُنْ شجرًا.. مُشْبَعًا بالخُصُوبةِ، كُنْ شَجَرا

وإنْ لم تَكُنْ شجرًا يا حبيبي، فكُنْ حجرًا.. مُشْبعًا بالرُّطُوبةِ، كُنْ حَجَرا

وإن لم تَكُنْ حجرًا يا حبيبي، فكن قمرًا.. في منام الحبيبة، كُنْ قَمرا"(1).

وقل للباقين "ألم تتعبوا أيُّها الساهرون؟

واقفون هنا. قاعدون هنا. دائمون هنا. خالدون هنا.

ولنا هدف واحدٌ واحدٌ واحدٌ: أن نكون.

ومن بعده نحن مُخْتَلِفُونَ على كُلِّ شيء: على صُورة العَلَم الوطنيّ (ستُحْسِنُ صُنْعًا لو اخترتَ يا شعبيَ الحيَّ رَمْزَ الحمار البسيط).

ومختلفون على كلمات النشيد الجديد (ستُحْسِنُ صُنْعًا لو اخترتَ أُغنيَّةً عن زواج الحمام).

ومختلفون على واجبات النساء (ستُحْسِنُ صُنْعًا لو اخْتَرْتَ سيّدةً لرئاسة أجهزة الأمنِ).

مختلفون على النسبة المئوية، والعامّ والخاص، مختلفون على كل شيء. لنا هدفٌ واحد: أن نكون ومن بعده يجدُ الفَرْدُ مُتّسعًا لاختيار الهدف"(2).

إننا "نحبُّ الحياةَ غدًا؛ عندما يَصِلُ الغَدُ سوف نحبُّ الحياة

كما هي، عاديّةً ماكرة رماديّة أَو مُلوَّنةً.. لا قيامةَ فيها ولا آخِرَة"(3).

ألا فغادر اليوم "يومهم"، وعُد في يوم آخر "يومك" أنت.

***

1: محمود درويش – يُنقبُ عن دَوْلَة نائمة؛ موقع أدب.. الموسوعة العالمية للشعر.

2: محمود درويش – المصدر السابق..

3: محمود درويش – المصدر السابق..

9 - المعتقدات تسلب الحياة

قيمة العقل في مجتمع الحمقى!



فقط لأنك أزلتَ السعدان من على ظهرك، لا يعني أن

السيرك قد غادر البلدة

جورج كارلين

***



ليس العقل، بمعطى خارج عن الحمق: والذي (الحمق) يتجاوز الجنون كجنون متعمّد أي جنون ضد العقل - بالمفهوم الاجتماعي - وليس الجنون الذي يفتح أفق العقل ويوسع من مداركه كـ-"الفن".

قد يكون العقل أحمق، أو يصبح بحد ذاته أحمق، فيلغي العقل الأحمق دلالته كـ-"عقل" نتيجة الحمق: فالمجنون يركض خلف عقله الذي يبحث عن ما وراء الحدود، عن عالم يلوح له من بعيد بيده الساحرة - أما "الأحمق" فيعتبر حماقته التي طوقت عقله هي "العقل":

العقل هنا كخزانة أو بيت من الديكورات، وليس أداة: كالفأس التي تقلّب الأرض، أو الدرّاجة التي تخترق رياح الطريق. العقل حركة متعددة الاتجاهات، وليس كوكبًا يدور حول نفسه.

"كثيرًا ما كنتُ أعود للبيت وأنا حقًّا في مزاج سيئ، فألتقي بمنيب في الحي والذي يقوم كعادته بشيء طريف، وبعدها يتحسن بالنسبة لي

كل شيء"(The Wall Street Journal) كان هذا تعليق محمد إسلام، جار منيب الشاه الشاب الذي يبلغ من العمر **15** سنة والذي تعرض للقتل بهجوم إرهابي على يد طالبان، وهو "الهجوم – كما جاء على لسان جريدة البيان – الذي تبنته حركة طالبان الباكستانية على مدرسة لأولاد العسكريين الباكستانيين في بيشاور، مؤكدة أنها أرادت الثأر لمقاتليها الذين قتلوا في الهجوم العسكري الباكستاني الذي أطلق ضدها في المنطقة في يونيو، انتهى مساء أمس بعد سبع ساعات من الاشتباكات المسلحة بمقتل جميع المهاجمين وأكثر من **141** شخصًا معظمهم تلاميذ تتراوح أعمارهم بين **10** و**15** سنة..

وقال تلميذ نجا من الهجوم: «أثناء خروجنا من الصف رأينا جثث أصدقائنا مُمدَّدة في الممرات. كانوا يترفون وبعضهم تعرض لإطلاق نار ثلاثَ مرات أو أربعًا».

وأضاف: «دخل المسلحون إلى الصفوف وبدأوا إطلاق النار بشكل عشوائي على التلاميذ والمعلمين»"(**1**).

باعتبار أن "بعض التلاميذ كانوا يقيمون حفلة حين بدأ الهجوم" كما جاء بتعليق أحد العاملين في المدرسة.

إن وحشية الحيوانات تأتي دفاعا عن البقاء عن الحياة، في أبلغ صورها الأنانية، حيث يبدأ القتال عند بعض الطيور بعد الخروج من البيضة، ينقر بعضهم بعضا ليكتسب أكبر حصة من الطعام. الغذاء

والجنس هو ما يولد الصراع الحيواني، فيتجلى بأبرز صوره في الاشتباكات الاقتصادية للهيمنة على الأرض – بما تحويه مساحتها من ثروة غذائية وإمكانية الاستثمار الجنسي.

أما عند الإنسان، فالصراع يصبح – بشكله الأكثر حماقة – ضد الحياة: كما نشهد هنا حركة طالبان الحمقاء تقتل الحياة – في أبرز تجليها (الأطفال/الشباب) – انتقامًا أو بالأحرى استعراضًا / دفاعًا / تثبيتًا لسخافاتها الدينية! تصبح المقولة الدينية المشوّهة هنا ذات أحقية للحياة، أكثر من طفل متعدد المواهب: كلمات غير مفيدة في مقابل أعظم تجليات الطبيعة (وهو الإنسان/الحياة).

تتقاتل الحيوانات لتعيش – رغم ما تبلغه حياتها من حقارة من المنظور الإنساني. أما الإنسان في شكله الحقير، فهو يتقاتل لتعيش مفاهيمه الحمقاء، خطوط ومعطيات وعوالم لا تخرج من نطاق الوهم، والهلوسة الفكرية كتشنجات فيسيوعقلية: تعيش مقابل التضحية بالكائن بحد ذاته، حيث تنتهي أنطولوجية الحياة والجمال بنهايته.

وكما استغرب شكسبير في إحدى مقاطع مسرحياته، عن الناس التي تموت من أجل بقعة صغيرة من الأرض لا تكفي حتى لدفنهم! فلما لا نستغرب بأكثر من ذلك بمن يفعلون ذلك حتى ترقص الكلمات بدل الإنسان فوق تلك البقعة، فبحماقة التفكير الانتحاري،

يضحي الأحمق بنفسه لكى يحيى موته (شبحه) فوق أرض الحياة، بعد أن سُلبت منها الحياة بسبب الحماقة.

طالبان وما سواها من الجماعات الحمقاء، ليست ظفرة أو استثناء أو حتى شكلًا من أشكال الإجرام، إنها ظاهرة سيكولوجية، تمنح بالحاضر دلالة ومعطى عن السياسة الحمقاء حينما تثبُت أقدام مشروعها في أرض الحياة: لذلك، وفي مناطقنا حيث المعتقد أهم من الحياة، يجب أن نتوجس من كل سياسي يُبرز إرادته في الموت لأجل مشروعه أو معتقده، فذاك سيقتل الجميع حتى يعيش برنامجه – إذا تطلب الأمر – حتى لو لم يعد شاهد (واحد) بعد ذلك على المشروع. تلك حماقة الفناء، كهروب سيكولوجي من لغز الحياة: وهو العيش بأقصى درجة وتجلٍّ، في كل لحظاتها.

لنكن مجانين نركض نحو الحياة، وليس حمقى لنهرب منها! لنكن كـ–"راسل" وهو يقول:

"لن أموت أبدًا دفاعًا عن قناعاتي، فقد أكون مخطئًا".

برأي العفيف الأخضر:

"الحال أن أشد الحروب والمجازر فظاعة، وأكثر المجتمعات انغلاقًا وأكثر الثقافات عداء للعقل صنعتها شخصيات فصامية، سايكوباتية وبارانواية هاذية. من الإسكندر "ذي القرنين" إلى بن لادن مرورًا بنيرون، جنكيز خان، نابليون، هتلر، ستالين، بول

بوت، خميني وصدام. هذا يعني أن هجوم الجنون في التاريخ، كما أسماه ريمون آرون، خطر داهم ودائم"(2).

فبالتأكيد "العقل دائمًا موجود، لكن ليس دائمًا بالشكل العقلاني"، بتعبير كارل ماركس.

1: 141 قتيلًا بهجوم على مدرسة في بيشاور – موقع سكاي نيوز عربية، بتاريخ: 2014/12/16.

2: العقيق الأخضر – الميثاق العقلاني (2/1) – موقع إيلاف.



10 - مخاوفنا من طفولتنا



كل شخص يخفي بداخله ذلك الطفل

الذي يريد أن يلعب

نيتشه

***



يُقال إن "الإنسان ابن بيئته"، لكن ما البيئة إن لم تكن سوى مجموعة تجارب يتعرض لها الإنسان، لتتشكل شخصيته حسب ما تركته هذه التجارب من آثار في نفسيته، "الإنسان ابن تجاربه البيئية"، وهو يكبر تكبر معه آثار هذه التجاب في نفسيته..

على إثر ذلك، يرى كولن ويلسن ككاتب مهتم بالعلاقات الإنسانية أن:

"الناس لا تغدو أعقل أو أكثر حكمة حين تكبر، بل ربما يصبحون أكثر غباءً. إنهم يتعلّمون كيف يخفون شكوكهم بالتصرف كالآخرين أو بالتلفظ باصطلاحات عادية، وأحيانًا بالإغراق في الخمر للشعور بالثقة في النفس. عالم الكبار خدعة ضخمة مُقنِعة. وهم بهذا يخدعون أنفسهم بالدرجة نفسها التي يخدعون بها الآخرين"(1).

يعتقد الناس – خاصةً بعالمنا العربي – بأننا نلد أطفالًا، لكن الواقع هو أننا نلد أجدادًا وعجزة! نحن نلد أمواتنا وأجدادنا وليس أطفالنا.. وكما كتب عبد الله القصيمي:

"كل الشعوب تلد أجيالًا جديدة، إلا نحن نلد آباءنا وأجدادنا، وذلك بغرس طبائع آبائنا وأجدادنا بهم وحثهم ومطالبتهم بالتمسك بها والحفاظ عليها؛ ولذلك فشعوب العالم تتطور ونحن نتخلف".

والأكثر من ذلك نضيف لهم كذلك أوهامًا وتخاريف من حاضرنا.

يتشبع الأطفال – الذين يولدون عجزة وأجدادًا – منذ طفولتهم بمخاوف وأوهام الماضي، كل طفل يسكنه ميت من السلف، فيزرع فيه مكبوتات الماضي، نضيف إلى ذلك عوامل التربية التكنولوجية الحديثة – ولا أتحدث عن المدرسة أو التعليم فذلك يدخل ضمن سلطة الأجداد – بل عن الإعلام بوجهه الحداثي.

فبالنسبة للجميع من الجيل الحالي، أو السابق أو حتى السابق عنه، تربوا على صور الرسوم المتحركة، حتى تداخلت العوالم الكرتونية بعالمهم الواقعي في صغرهم (وأعرف من كبروا ولا يزال يتداخل هم الكرتون بواقعهم!).

يتم إنتاج كائن عجوز متشبع بالمخاوف والتخاريف الأسطورية البدائية إضافة لنوع من السذاجة المضحكة المبكية في آن! لأنه،

انطلاقًا من منهجية الهندسة الكرتونية يتم رسم عوالم وردية مثالية للطفل، فما يحدث هو أن الطفل يبني ثقافته عن العالم من خلال الرسوم المتحركة، ما يعني أن العالم الذي يشاهده في التلفاز: عالم وردي وجميل ومريح، حتى الأشرار فيه لطفاء وأغبياء لدرجة غير معقولة، لكن العالم الواقعي يختلف عن تصوراته الكرتونية، فهناك شخص كبير وعاقل قد يستغله جنسيًّا، وهو الأمر الذي لم يسمع به الطفل أو يعرف كيف يتعامل مع الموقف إذا حدث (هذا إذا استطاع أن يميز ما يحدث): ما دام في الرسوم المتحركة التي تشبه العالم - أو العالم بالنسبة له - لا يحدث فيها ذلك. فالمخاوف كما تم تلقينه، تأتي من عوالم ميتافيزيقية تمت فلسفتها بالماضي، الشر يأتي من كائنات لربما لا يراها ولا تنتمي لعالمنا، ليس هناك من يقنعه أو يُفهمه بأن الغول والوحش والشيطان والملاك، إن هي إلا مسميات لكائن يُشبهه وهو "الإنسان"، كما هو موجود بالواقع، لا ينتمي لأساطير العوالم السماوية ذات التأثير الخرافي عن بعد، ولا هو طيب كأشرار الرسوم المتحركة. هذه الأخيرة التي لها أكبر تأثير - من أي مؤثر آخر - في عقلية ونفسية الطفل.

يجب إفهام الأطفال، أن الواقع يختلف عن الكرتون، ففي العالم الواقعي هناك البيدوفيلي واللص، بل هناك من الأطفال المستعدين للاعتداء على زملائهم وسرقة أغراضهم واستغلالهم ماليًا، وتحريضهم على القيام بأمور سيئة، وهناك من الكبار من يَكرهون الأطفال ولا

يتحدثون سوى بالعنف، وهناك المستعدون لخداعهم عند تعاملهم معهم (فليس بائع الكرتون كالبائع هنا!).

والأهم من ذلك إفهام الطفل أن شخصيات الكرتون أكثر ذكاء من الناس الواقعيين، فلا يجب أن يهتم بما يقوله له سكان الحي فبمجملهم أغبياء! فالطفل يربط نتيجة التربية المشوّهة ضخامة الفكر (الذكاء) بضخامة الجسد!

إن علاقة الكرتون بالعالم الواقعي هي أنه طريقة تعويضية صُنعت لأجل الطفل، حتى لا يكره العالم منذ صغره، على الأقل حتى يتجاوز سن مراهقته!

ليس للرسوم المتحركة من سن، ليس بالضرورة أن تكون طفلًا لتشاهدها، الإشكال هو في أن الطفل يُسقط تلك الرسوم على الواقع. لقد تنبّهت اليابان لهذا الأمر لدى صناعتها للمانغا **Manga**، وهي رسوم متحركة موجهة للكبار (أكبر نسبيًّا من الأطفال) وفيها يتم إنتاج مواضيع معقدة تتضمن صراعات تفضح الواقع بما فيه من شرور واستغلال وأحقاد واعتداءات، بذلك يحاول الأبطال فرض عالمهم المثالي ورؤيتهم البريئة في القصة.. وهذا ما يجب أن يتعلمه الأطفال (مع التركيز على فرض المثالية وهي رؤية تشاركية نسبية تساهم في إسعاد الجميع، وليس الرؤى الخاصة السخيفة كداعش والقاعدة وما سواها من جماعات المانغا التي جاءت من العالم الآخر!).

إن ما لا يعيه كثير من الناس (وهي نقطة جد مهمة)، هو أن جزءًا من رغباتهم وأحلامهم وأمانيهم ومخاوفهم ساهمت فيه تلك الرسوم المتحركة التي شاهدوها وهم أطفال صغار.

أيضًا يخرج الطفل من عالم الكرتون ليتلقى صدمات واقعية متتالية كأنه ولد للتوِّ! هذا إذا لم يتقهقر (وهو الحصر السيكولوجي) ليعود للطفل الذي تركه بالطفولة متشبثًا به لسنوات مستقبله المقبلة، هذا ما يجعل كثير من الناس من حولنا يُشعرونك وكأنهم لم يتجاوزوا سن الرابعة عشرة عقليًّا – أجساد باتمان، عقول السنافر!

يأتي سؤال هنا: قبل الرسوم المتحركة هل كان الأطفال أفضل؟ ليس بالضرورة لأن القصص الخرافية والحكايات والأساطير الدينية كانت تتكلف بالأمر، بتشكيل مخيّلة وعقلية أسوء مما يقوم بعمله الكرتون. فتلك الخرافات تلتصق بعقله كأنها هبة ربانية! فهو لم يشاهد أطفالًا ملونين بالتلفاز يحكون عن ذلك، بل سمعه من كبار يبدون عقلاء! والأطفال يصدقون مجمل ما يقوله الكبار. وما يصدقه الناس في صغرهم، يتطلب ثورة وتمردا لنسيانه بالكبر، فذلك يعتبر – لا شعوريًّا – تمردًا على الماضي وتكذيبًا لمن كانوا يتلقون من الطفل الاحترام والاندهاش والتبجيل. يصبح هنا تكذيب المخاوف والسخافات ذنبًا عظيمًا!

بعض الأطفال مع مرور السنين، ونتيجة ذكاء شخصي، يجدون

في مرحلة الشباب – كما يشير كولن ويلسن – أن:

"الحياة جميلة وقاسية، ويعيشون في مشكلة محيرة متشابكة من العواطف تجعلهم أحيانًا مفككين غير مترابطين، ولكن تحت هذا الظاهر، هناك بركان من النشاط العقلي يحاول أن يشق طريقه ويخرج إلى الضوء النهار، ولسوء الحظ، فإن عليهم أن يواجهوا مؤامرة الكبار عليهم، بالإضافة إلى مشاكلهم العاطفية الخالصة"(2).

إن أكبر عائق هنا، هو الاعتقاد بأن "شخصيتنا ملكنا، لكن كل شيء نقوله أو نفعله أو حتى نفكر فيه مستعار من الآخرين، ابتداءً من طفولتنا المبكرة. من الصعب أن نصدق ذلك، لكنه صحيح.. وهذا أمر شديد الأهمية، لأنه يعني أن شخصيتك وقدراتك ترجع كلية إلى المحيطين بك. أنت لا تتعلم فقط لغة والديك أو تقتدي بتصرفاتهما، لكنك تتعلم أيضًا أن ترى العالم من خلال عيونهما، مهما تكن درجة اختلافك عنهما أو معهما، وكأنهما قد وضعا نظارة سوداء على أنفك تظل ثابتة هناك بقية عمرك"(3).

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يزيد عن ذلك بمساهمة الإعلام الحديث، إذا أدركنا – كما يشير لذلك نعوم تشومسكي – بأن:

"معظم الإعلانات الموجّهة للجمهور (تمتلك) أسلوبًا خاصًا يوحي في كثير من الأحيان أن المشاهد طفل في سن الرضاعة أو أنه يعاني إعاقة عقلية. كلما كان الهدف تضليل المشاهد، إلا وتم

اعتماد لغة صبيانية. لماذا؟: «إذا خاطبت شخصًا كما لو كان في سن 12 عند ذلك ستوحي إليه أنه كذلك وهناك احتمال أن تكون إجابته أو رد فعله العفوي كشخص في سن 12»".

إنه مشروع لا واعٍ لتقزيم "إنسانية" الإنسان بما فيها من إدراكات وإمكانيات.

يقول الفيزيائي ألبرت أينشتاين:

"إذا كنتم تريدون أطفالكم أن يكونوا أذكياء اقرؤوا لهم قصصًا خيالية. إذا كنتم تريدون أطفالكم أن يكونوا أكثر ذكاءً اقرؤوا لهم مزيدًا من القصص الخيالية".

وذلك ليس بغرض تصديقها، بل لأن الخيال - برأي الموسيقي ريشارد فاغنر - "يخلق الواقع".

يجب الوعي بأن الخيال ممارسة لفك طلاسم الواقع، خاصة بنوعه السوداوي القديم والعقيم، الذي يغلف أعيننا وعقولنا بعد ولادتنا، محوّلًا لنا بسرعة من أطفال إلى عجزة متعصبين! إن مفهوم الخيال هنا - وكما يدعمه الفيزيائي فرانك ويلكز - هو "التفكير بأفضل الطرائق لحل المسائل، والتي تتطلب الكثير من الخيال"، وذلك لوصف ورسم ما هو غير مسبوق أو مألوف، أي ما هو خارج عقول أجدادنا وأمواتنا الذين يسكنوننا، ويكبلون خيالنا، بخيالهم السخيف الأقرب للهلاوس. فبدل أن نحرر حياتنا بالخيال، نطمسها بتهيؤات خيالية:

فهناك فرق بين التخييل كممارسة فكرية، وبين الإيمان بما ينتجه الخيال، بعيدًا عن الواقع كأنه واقع!

الخيال يقدم بدائل أرقى وأنجع، تلك قدرته التي تتجلى في الفن الذي يلهمنا ويدفعنا لتحمل الواقع بتجاوزه نحو ما هو أبهر من الروتيني والعادي.

إن الفن هو كسر القواعد الفنية، دون وقوف أمام سلطة الخوف، وبذلك يتحول العمل الخارج عن المألوف بدوره لقاعدة، تمهد بدورها - كإلهام - لخروج عمل آخر عن المألوف. جمالية الفن هي إزالته للقشرة التي تغلف الحياة الاجتماعية البسيطة، والتي تحجب الجوانب الجمالية في الحياة والإنسان.

وكما قال نيتشه:

"كل شخص يخفي بداخله ذلك الطفل الذي يريد أن يلعب"..

أن يلعب دون خوف! فالخوف طبعا هو الذي يخفيه، ويمنعه من الخروج ليلعب، يجعله عجوزًا هرمًا غير قادر على الحركة، غير قادر على تخيل المستقبل لأن حاضره ميت.

1: كولن ويلسون - الجنس والشباب الذكي - ترجمة أحمد عمر شاهين، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر - ص6.

2: كولن ويلسون - المصدر السابق.. ص7.

3: كولن ويلسون - المصدر السابق.. ص8.

الجزء الثاني

سخرية القبح



ماذا يعني أن أكون جميلًا(ة)؟

ما الجميل؟

سقراط

***



الإنسان لا يمكن أن يكون جميلًا بالنسبة لنفسه،يكون جميلًا بالنسبة للآخر: فحينما تنظر لنفسك بالمرآة، أنت تنظر لنفسك بنظرة الآخر، وكما يقول رامبو – تصبح "أنا آخر" – تنظر لأناك على اعتبار أنها شخص آخر: هناك تحكم على ذاتك بالجمال/ أو بالقبح! بالنسبة للجمال والقبح، فإنهما يندرجان كمفهومين فلسفيين، صعبي التحديد ما داما ينفلتان من تخصيص الفلسفة باستمرار: فما دامت مقاييس الجمال قد تغيرت عبر العصور – أو حتى بنفس الفترة الزمنية – أو حتى ضمن نفس السيكولوجية الشخصية:قد يحب الرجل امرأة سمينة، ثم سرعان ما يعشق أخرى نحيفة، فالمعطيات تتداخل باستمرار لتغيير الرؤى – زيادة على أنها باهتة وضبابية: فإذا سألت أُمًّا عن جمال الرجل، إن لم تذكر زوجها، فإن ابنها يتبادر إلى ذهنها (حتى لو لم يكن جميلًا نسبيًّا)، وإذا سألت أنثى ما، قد تفكر في حبيبها أو الشخص الذي تحبه (في صمت)! وهو ليس جميلًا بالضرورة– فللجمال مقاييس تصنعها الإعلانات – كما عند الشعراء قديما في وصفه معشوقاتهن؛

وهو نفس الأمر - فالمعشوقة ليست بالضرورة جميلة - لكن "البروموسيون" الذي يقوم به الشاعر عند تضخيم مواصفاها: يجعلها "موديل" جماليًا - وقد تكون "الموديل" هي بنت "السلطان" ما دام الكل يتغنى بالأسرة السلطانية (كتقديس للحاكم متوارث بتاريخ الإنسان الديني، من ضمن ذلك أطماع بمبات بلاطية). بل لو قام شاعر مشهور حاليًا بوصفك (بما أنك أنثى) فمباشرة ستصبحين "موديل" أو الأجمل بين الجميلات - ذلك ما يحدث بنجاح فيلم هوليودي أو فيديو كليب:تصبح شخصيات العمل "قاعدة" لمواصفات الجمال.. وهذا نوع من السخرية الزمنية على الأجساد الإنسانية! فلو أن "حميدة" البقال (الذي في الحي) شارك بفيلم واشتهر، هل سأضطر لتقليده حتى أُعتَبر جميلًا ما دام أنه يتحوّل بنجاحه لقاعدة) - وذلك ما حدث مع العارض "ريكي هال" الذي اشتُهر بلحيته، فصار جميع الذكور كـ-"أبي لهب" يتجوّلون بلحاهم على اعتبار أنها صيحة "حريم السلطان"، لَوَاه حريم قريش! (نُشرت دراسة مؤخرًا تؤكد أن اللحية بها بكتيريا أكثر مما بالمرحاض.. تخاريف ضد داعشية، أو ممكن! لكن من سيرغب ساعتها بعناق مرحاض؟!)

يمكن أن أختزل مفهومي الجمال والقبح، في إطارين واضحين ضمن التاريخ التطوري: الجمال هو إحساس هرموني تجاه كل ما يشعرنا بالأمان - وجه جميل/بريء، أو علامة الفحش والثراء:

في الأول (الأمان) يرتبط ذلك بالأطفال، بأبنائنا، أفراد عائلتنا، والناس الذين تبدو عليهم علامات السلام والبراءة والطيبة؛ والثراء يدخل ضمنه المشاهير، ذوو المكانة الاجتماعية، أصدقاء بمستوى اقتصادي عالٍ.. وهذا هو الإطار الأول.

الإطار الثاني: القبح هو إحساس هرموني كذلك، لكنه تجاه كل ما يشعرنا بالخوف والنفور: وهم الناس المتسخون، أمراض جلدية أو معدية (قد تغيّر الشفقة من الأمر، ما دامت الشفقة تُعتبر رد فعل دفاعيًّا حتى لا تنتقم منك لعنة التشفي أو الكره!)، من قد يتسببون لنا في الأذى (أو من تسببوا لنا في الأذى وكانوا قبل ذلك جميلين في نظرنا)، الغرباء أحيانا أو من لا تبدو عليهم علامات الطيبة.. هنا يبرز مفهوم جد مهم يقع بين الجمال والقبح – وهو الغرابة: حيث يمكن لشخص طيب أن يؤذيك فيتحول مباشرة في نظرك لشيطان قبيح! أو أحدهم يبدو كمجرم لكن تصرفاته النبيلة نحوك تجعله جميلًا وجذابًا. فقط انظر حولك، هل تنطبق مواصفات الجمال على أصدقائك وأقاربك؟ طبعًا لا! لكن بحكم الحب تراهم جميلين، لأنه دافع للارتباط بمن يشعروننا بالأمان ويخففون عنا، وبحكم الكره ترى القبح فيمن تكرههم.

وقد سبق لفرويد إبراز ملاحظة مهمة:

حيث إن شعورنا يحتوي تمازجًا بين الحب والكُره، فأحيانًا قد نكره من نحبهم لأنهم سببوا لنا الأذى، لكن سرعان ما قد نغفر لهم ونحبهم مرة ثانية:

عندها يتذبذبون في نظرنا بين القبح والجمال! وقد أشار لذلك شكسبير بقوله إذا أردت أن تعرف قبحك أمام أحدهم يحبك، فقط قم بإغضابه – وهي التيمة التي تنبني عليها غالبية مسرحياته، حيث تدور تراجيدية الشخصيات بين أحاسيس الحب والكره، لإبراز قالب الطبيعة البشرية وبنيتها.

العديد من السيكولوجيين: تطرقوا ل–"غرابة" الجنس، حيث إن جاك لاكان يسميه "المجهول العظيم":

وذلك نظرًا لأن الجنس يمزج القبح بالجمال – كما المتعة بالألم، والحب بالكره، أو هو يتجاوزها نحو الانفلات من التفلسف إلى الإيروتيكولوجي – فرؤيتنا لعملية جنسية قد نجدها قبيحة، وجميلة في ممارستها – وتلك هي مخادعة الهرمونات: ففي الحالة الأولى حسدنا اللاشعوري ينفرنا من المنظر، أما الثانية فشعورنا بالامتياز يلغي حالة الوحدة والحرمان التي كنا ربما نستشعرها (والتي قد تولد الحسد!).

لنفترض أنك تشبهين "آمبر روز"، فهل ذلك يعني أنك جميلة؟ لا! أنت جميلة بالنسبة لمن يحبون "آمبر"، أو يحبون مواصفات "آمبر". وهي (آمبر) قد ترى "ويز خليفة" جميلًا – طالما تحبه – فهل يعني ذلك

أن "ويز" جميل! وهو يبدو كـ-"البلطجي" (بالنسبة لي)! "خربق زربق" وقُل: "سواغ" Swag!

إن ما أحاول أن أشير له، هو أن الجمال والقبح لا ينفلتان، بقدر ما يمتزجان بنفسية وفيسيولوجية الشخص: لديك فسلفة خاصة، بالجمال والقبح، بناء على بيئتك واختياراتك وخاصة تاريخك العائلي. وبتقلّب أمزجة الناس، فإن المفاهيم تنقلب كذلك. فبالنسبة لك ما هو شيء جميل، ما هو شيء قبيح، ما الجاذبية؟ كيف تحدد الفرق؟ وإذا كنت تعتقد بوجود شيء وراء الجمال والقبح؟ فما هو بالنسبة لك؟ أو كيف تعرّفه؟

أسماء:

"الجمال موضوع شخصي، فالجمال في عين الناظر، لا نستطيع تحديد الجمال أو الجاذبية. لأن لكل منا رؤيته الخاصة للأشياء"(1).

خولة:

"بالنسبة لي جميل كل ما هو جذاب، كل ما يدفعك للابتسام (يُفرحِك) والتفكير في كل الأمور الخلابة التي يمكن أن تنتجها الأرض. أما القبح فهو كل تلك الطاقة السلبية التي يمكن أن تصدر من شيء أو شخص بموقف معين، نفسية سيئة (شريرة)... إلخ. بالنسبة لما وراء الجمال والقبح، لم يسبق لي التطرق لما وراء الجمال لذلك لا يوجد بالنسبة لي"(2).

سوسن:

"أقول إنه جميل بالنسبة لي كل ما يصدر عن طاقة إيجابية، الجمال مفهوم جد نسبي، فلا يمكن أن أصنف شيء على أنه قبيح أو بشع، لأنه خلف كل خلق (إبداع) هناك من استثمر وقتًا وطاقة، ومن أنا حتى آتي وأقول إن هذا الأمر قبيح! هناك فقط أمور أقل جمالًا من الأخرى. بالنسبة للجاذبية، فهي م اوراء الجمال، إنها في طريقة الحضور، التصرف والكلام...إلخ، إنها الإمكانية التي يستطيع الشخص من خلالها أسر الآخرين، أن يؤثر فيهم أو بوجه التحديد أن يفتنهم"(3).

إذا كانت الإجابة أو الإجابات السابقة، قد صدرت ممن يشتغلون بالجمال، ولهن بعض الدراية بمفاهيمه، فسنرى ما تمثله تلك المفاهيم بالنسبة لأناس من مختلف الشرائح والمهن – حسب بحث منشور:

"محمد (17 سنة): بالنسبة لي فتاة جميلة، هي فتاة كلاس (أنيقة). يجب أن تظهر عليها الأنوثة. وتصدر عنها جاذبية جسدية، جاذبية جنسية، ما لا أستطيع تفسيره.

أمين (17 سنة): عادية، رقيقة، ذات جاذبية، فاتنة، طبيعية.. بالنسبة لي، نموذج الفتاة المثالية هي السمراء بعينين زرقاوين.

هند (21 سنة): الجمال بالنسبة لي هو حينما يتقبل الشخص ما هو عليه، حينما يؤكد ذاته ويرتب صورته. لا أعتقد بأن القبح

موجود، إنما أعتقد بأن الناس غير الجذابين مظهريًا هم من يصرون على تقديم صورة ليست لديهم، أن يكونوا ما ليسوا عليه!

أونتونيو (25 سنة): أونا كوسا موي بونيتا (شيء جميل)! بالنسبة للجمال المظهري، إنه في النظرة وذلك بحسب الشخص، حسب جماله الباطني! فحتى لو كنتِ ملكة جمال الكون، قد يجدك البعض قبيحة! إذن، فالجمال جد نسبي. بالنسبة لي أجمل النساء هن السمراوات بعينين زرقاوين، أو الشرقية.

جميلة (28 سنة): جمال الشخص هو حينما يكون لديه تناغم. وأن تكون رقيق(ة) فذلك أمر جد مهم، لأنه يدل على الاعتناء بالذات. أن تكون جميلًا هو أن تكون – مقبولًا وميشورًا!

مريم (16 سنة): في (دولة) مالي، نقول إن الجمال يكمن في القلب، بنفسية جيدة، خدومة وطيبة.. بالنسبة للماليين المرأة الجميلة هي المرأة المكافحة، أي التي لا تُمنح. بنظرهم الجمال المظهري لا يهم.

عبد الهادي (29 سنة): هو أنا! (يقصد الجمال!).

ياسمين (24 سنة): الجمال غير محدد، إنه مسألة أذواق، قد أجد إحداهن جميلة لكن شخصًا آخر قد لا يشاركني نفس الرأي.

عثمان (26 سنة): الجمال بالنسبة لي هو الحياء والنقاء. لكن المرأة المثالية عندي هن السمراوات، بشعر كستنائي وعينين سوداوين"(4).

إن الغريب في الأمر: هو أنك في سن العشرين، تظن أن الجميع يراقبونك وتهتم بما يقولون، في سن الأربعين تظن أن الجميع يراقبوك ولكنك لا تهتم بما يقولون، أما في سن الستين فتدرك أن مغفّل، العديد من الأشياء كان بودك القيام بها! ماذا فعلت بالظن؟ مسجون ومقيّد ضمن مفاهيم فُرضت عليك، وبإمكانك صناعة مفاهيم(ك) بنفسك، أو الانفلات من عبء التصنيف! لا جميل أو قبيح، مجرد شغف وأسلوب حياة.

ربما ذلك صعب بحياتنا الاجتماعية، حيث يستمر الآخر (العائلة، التراث، العادات... إلخ) بالتأثير على أحكامنا وأذواقنا! لكن برأي سارتر: "نحن لا نعرف ما نريد مع ذلك فنحن مسؤولون عما نحن عليه – هذا هو واقع الأمر". أما بالنسبة لأنطوني دانجيلو ف"معنى الحياة أن تستمتع، لا أن تُقاسي".

1: L'âme en vogue - Blog, Facebook

2: Easybeauty by Khaoula - Blog, Facebook

3: Affordably Chic - Blog, Facebook

4: La notion de la beauté - Blog, penser le monde

حظ الجميلة وحظ القبيحة



البكاء اختيار مناسب لجودة الكحل

والقبلة اختيار مناسب لأحمر الشفاه، هيا لنبحث في الداخل عن أسباب للبكاء

ونبحث في الخارج عمن نجرب معه قبلة

سارة عابدين

***



يُقال:

"تغار القبيحة من الجميلة وتغار الجميلة من حظ القبيحة".

وأنه "كما أن هناك زهورًا بلا عطر، هناك جميلات بلا حظٍّ".

وجوديًّا هناك تشابه ظاهر بين الوردة والأنثى الجميلة، لا تختار الورود بأي مكان تنبت، قد تجد الوردة نفسها بحديقة أو ببستان، أو بمقبرة، أو بمكان ناءٍ غابوي يكون غالبًا بعد تجاوزك للمقبرة. في الموقف الأول (الحديقة أو البستان) تستعرض الوردة نفسها فيراها كل من يمر ويستمتع بمشاهدة ألوانها، أو حتى قد تُلهم شاعرًا لكتابة قصيدة عنها - كما كان يفعل وليام بليك - أما الموقف الثاني (المقبرة أو حقل فوضوي) تجد الوردة نفسها بالقرب من الكلاب المتشردة أو الذباب المزعج أو الأشباح الليلية! ولا تستعرض نفسها سوى أمام قضيب راعي عجوز يتبوّل عليها، أو أطفال لم يتلقوا تربية كافية يقومون بتجريب حكم الإعدام على رؤوس الورود بعصيّ ميتة.

هكذا الأنثى الجميلة، قد تجد نفسها بمنزل فخم وحي راقٍ، تتلقى تعليمًا ملائمًا وتشاهد من نافذة غرفتها شروق الشمس من خلف البحر أو الأسطح الملونة للأحياء الشعبية التي تقع بعيدا خلف أشجار الصنوبر. أو في حالة أخرى قد تجد نفسها، في بيت – ربع بيت بتعبير أوضح – تتزاحم وأخيها غرفة، وتتبادل وأختها الملابس التحتية، وتنتظر أباها حتى يخرج من الحمام كي تتمكن من استعماله! هذا وهي في البيت.. حينما تخرج تنهال التعليقات عليها من كل من خلق الله بتلك المنطقة. الذكور تدفعهم الرغبة في استهلاك هذا الجمال النادر، والإناث تدفعهم الرغبة في موتها لأنها تفتن العالم و"الفتنة أشد من القتل"!

يجد هذا المخلوق نفسه محاصرًا بين المتملقين والحاسدات! لماذا؟ لأنه الكائن الذي يستدعي الجمال في الكون، فإذا كان الشاعر هو الشخصية التي تستدعي جمالية الحياة لينهال منها الناس، كما استدعى بودلير الجمال من بشاعة الأزقة الباريسية فغيّر صورة فرنسا عن نفسها برسمه لطريق الحداثة الثقافية والأناقة الفكرية، فإن الشاعر يصل لقمة الاستدعاء حينما يستدعي الأنثى الجميلة وذلك باستدعائه لمواصفات الأنثى الجميلة، كما كان يفعل نزار قباني قبل أن يُصاب بالخرف السياسي شعريًا.

لكن وما يهمنا هنا، هو القاسم المشترك بين الجميلة كما وصفناها بالموقف الأول "الراقي"، والجميلة كما بالموقف الثاني "المنحط": وهو حظها العاثر في الحب، أو حتى الاهتمام بأبسط أنواعه. غالبًا لا تتصادق الجميلات فيما بينهن – أو تظل صداقة سطحية – بل (صداقة) الجميلة بعدة قبيحات! ما دام هناك أشخاص قلة يقومون باختيار موفّق – حينما كانوا في مثل سنّي – وذلك باختيار الاقتران بامرأة جميلة والتي تلد – طبعا بتداخل الكروموسومات – نسخة أجمل منها. تكبر هذه النسخة بين نسخ أخرى بحكم المصادفات الجغرافية الزمانية – غير أنها (النسخ/الإناث الأخريات) مشوّهة أو عبارة عن اختيارات سيئة لرجال كانوا في مثل سنّي – وهذا ما يفسّر المصادقة الحتمية بين القبيحة والجميلة، وصداقات الطفولة تستمر، كما تقول نوال السعداوي "صداقات الطفولة تصبح مثل قرابات الدم".

***

يُقال:

"تغار القبيحة من الجميلة وتغار الجميلة من حظِّ القبيحة".

وأنه "كما أن هناك زهورًا بلا عطر، هناك جميلات بلا حظ". غالبا النوع الذي تفضله النساء وترغبن في أن يكون من حظها، يشبه الغوريلا عقليًّا وشكليًّا حتى! لماذا؟ تجده مهووسًا بالصالة الرياضية أو الملعب، إما تجده بالصالة يتسلق العوارض المعدنية كالقرد، أو يركض كالغوريلا بالملعب. وأتحدث هنا عن وقت الفراغ في الغالب بالنسبة للذكر، وهو الوقت الذي تستغله الإناث للخروج والتجوال مع الصديقات – من ضمن ذلك التعارف بذكور وسيمين أو لائقين على أقل تقدير.

طبعًا لن يجدن – سواء ذهبن للمقهى أو النادي أو الحديقة أو مركز التسوق – إلا "النوع" غير المرغوب. لا أناقة ولا طريقة لبقة في الحديث ولا خجل ولا ندم ولا يموتون! زيادة على أنك تجدهم يرتدون ملابس لاعبي الاحتياط في كرة القدم، طبعًا كيف يُعقل أن

تتأقلم أنثى جميلة مع شخص يبدو كما لو أنه هرب من ملعب لدوري الهواة!

إن أول شيء تحكم عليه النساء في الرجل – وهذا ما يمكن أن تؤكده أي أنثى – هو مظهر الشخص! أوّل ما يلفت انتباه الأنثى هو أناقة الرجل – ولا أقصد بهذا ملابس باهظة – بل شكل مرتّب، فمن المظهر تتمكن من الحكم على عدة أمور في الشخص– من ضمن ذلك غرفته وعقله واهتماماته وأسلوب عيشه – فدون شكل مرتّب لن تملك حتى فرصة للتعريف بنفسك حتى لو كنت تعتبر نفسك – من جانب فكري – بحجم "يورغن هابرماس" أو شاعرًا لا مُقاومًا ك"رامبو"..

فبحكم هوس الإناث بالأناقة والتسوق والتجميل، ينطلقن في أحكامهن على الرجل من إسقاطهن النفسي على مخاوفهن، تخاف الأنثى من أن تبدو غير مرتّبة أو شكلها عشوائي، لهذا تهرب من أي نموذج يمثل ذلك! ومن غباء البعض، أنه يربط الأناقة ب"التشبه بمغني الراب"! طبعًا بالنسبة لغير المراهقات، يبدو هذا النموذج طفوليًّا – مهما يبلغ ثمن ملابسه!

يُقال: "تغار القبيحة من الجميلة وتغار الجميلة من حظِّ القبيحة". وأنه "كما أن هناك زهورًا بلا عطر، هناك جميلات بلا حظٍّ".

فكلما اجتمعت صديقات جميلات بموقع معين، يظل الرجل "شاهد عيان" ما دام أنه غير مؤهل للتعامل مع جماعة من النساء الجميلات دون احتمال الصد أو الرفض، هذا ما يولّد التردد والخوف والحيرة، فيخزّن هذه الأحاسيس، في المراقبة والمشاهدة فقط - يظل مراقبًا كالقرد لعل إحداهن ترمقه بنظرات أو بابتسامة، وفي الغالب لا يحصل هذا لأنهن يكن مندمجات في استحضار ذكريات معينة - صنف آخر لا يخجل نظرا لنسبة غبائه المرتفعة، فيتقدم ليندمج (وهو من سبق وأشارنا له بالفقرة السابقة) - وبما أن هذا النوع هو في الأصل مهرج غير متعمّد (بدون شعور) - فإنه يدفع تلك الجماعة للسخرية منه، فكلما ضحكن عليه - نتيجة حديثه الغريب وشكله الأغرب وجرأته غير المعهودة: الأمر الذي يجعله كنكتة تضفي طابعًا خاصا على الذكرى - يظن بأهن يضحكن معه! لكن في الأخير حينما تعود كل واحدة منهن لحجرها، تعرفن بالعمق أهن كن يضحكن على أنفسهن، فلا زال حظهن مع الرجال عاثرًا!

من الملاحظ، وهذا ليس قاعدة عامة غير أنه ظاهر، هو الصداقة التي تجمع القبيحة بالجميلة، كلما زادت نسبة جمال أنثى ما تجد صديقتها الحميمة قبيحة! طبعًا هذا يريح الجميلة ما دام في كل مرة يتغزل بهما أحدهم - أي هي وصديقتها - تعرف أنها هي المقصودة، وليس نفس الأمر إذا كانت مع أخرى جميلة ما يمكن أن يسبب حيرة، على الأقل هنا - مع القبيحة - لا تتزعزع ثقتها بنفسها.

أما بالنسبة للقبيحة، والتي لو كانت تمتلك قلبًا ودماغًا، لابتعدت عن صديقتها التي تسبب لها – دون قصد من الأخرى – بإحساس النقص. لكن هيهات! فلو افترقت عن صديقتها، لن يشعر الرجل الوسيم بأنها موجودة على الكوكب، فعلى الأقل حينما تكون مع صديقتها الجميلة، يلحظهما الذكور، ويقتربون منها – أي منهما – بل حتى إنها تتمكن من صدهم وشتمهم، فغالبًا ما تلعب القبيحات دور باتمان Batman بالنسبة لصديقاتهن الجميلات. وهذا يحقق انتقامًا – هو في الأصل تفريغ نفسي – من ذلك الغبي، الذي لم يكن ليلحظها لو مرت وحدها، أو لكان رماها بحجر إذا مرت مع أخرى قبيحة مثلها.

قد يعتقد البعض، أن الجميلات يترعجن من تصرفات صديقاتهن القبيحات، حين يقمن بالإجابة عنهن لكل من يتقدم نحوهن – حتى لو لم تكن هي المقصودة – وقد يقمن بصد نوع مرغوب وإهانته. طبعا لا! لا تترعج الجميلة من صديقتها! فهي تعرف أن "حظها عاثر مع الرجال"، سواء وُجدت صديقتها القبيحة أم لا!

يُقال إن نصف جمال المرأة شَعرها. أظن أن قبيحة ما هي التي أطلقت هذا المَثَل، فطبعًا الجميلة حتى لو كانت صلعاء تظل جميلة! لكن المنصف هو أن نصف جمال المرأة هو عقلها، فالأنثى الغبية تبدو جميلة جدًّا لكن ما إن تتحدث أو "تتنطّط" حتى تتحول لبهلوان! طبعًا المهووس الجنسي هو الذي يظل محافظًا على انطباعه السابق، لأنه لا

يُرى سوى جسد عارٍ– حتى هي لا يراها، صورة الجسد فقط هي ما يتخيل.

بالنسبة للحديث عن القبيحة وحظّها، فهو لا يعدو أكثر من نكات اجتماعية، الفرق بينها وبين الجميلة، هو أن هذه الأخيرة تعرف أنها مُراقَبة كلما خرجت، ومُعرَّضة للاستغلال والتملق وجذب الفاشلين... إلخ، بذلك تبني حائط صَدٍّ – كآلية نفسية للحماية – وذلك بتصعيد درجة النرجسية، والاهتمام المرضي بالمظهر والشكل – ضدًّا على سخريات القبيحات الحاسدات المُتوقَّعة عند أقل غلطة – تصبح الواحدة منفعلة داخليًّا، رغم هدوئها الخارجي.

بذلك يصبح من الصعب مجاراتها من قبل الرجل – وصديقاتها كذلك – ويصعب التفاهم معها أو التوافق، ما دامت هي لا شعوريًّا متقلِّبة ومترددة وعدوانية.

القبيحة – رغم ما في هذا اللفظ من إجحاف، ولنقل الأقل جمالًا من النموذج المذكور – تبدو منفتحة وعادية وبسيطة وعفوية، حتى أن شخصيتها – التي لم تتعرض للضغط الاجتماعي: فمشاكلها قد تنحسر فقط مع شعرها الخشن، أو اختيار ملابس لا تُبرز بطنها الكبير! – كما كنت أقول فإن شخصيتها قد تطغى على شكلها وتضفي عليه لمسة جمالية وجدانية. وليس فقط بالنسبة للرجل، بل حتى بالنسبة للمرأة – الجميلة – التي تجد فيها حميمية، لا تجدها في

أخرى – عبارة عن انعكاس لها – ترى فيها صورها الانفعالية والنرجسية الخانقة!

من المفيد للرجل أن يكون ديستوفسكي الموقف، الذي يرى بأنه في كل أنثى هناك شيء جميل. لكن على الرغم من ذلك، اللهم فلتعطنا "حظ القبيحات"!

كتبت سارة عابدين – بمجلة الأدب لعدد 1106 – تقول:

"الأمطار تتساقط في الخارج والرجال ملتحفون بمعاطفهم الثقيلة يسرعون الخطى ولا يلتفتون لامرأة تبحث عمن تجرب معه جودة أحمر الشفاه..

هم لا يملكون مقابل التجربة وليس عندهم ما يقدمونه لها..

لم تستطع إقناعهم أنها لا ترغب سوى في قبلة لتجرب بها جودة أحمر الشفاه وليس أكثر من رجل غير مبلل، بحذاء نظيف، يوافق على غسل أسنانه قبل القبلة بالفرشاة وبمعجون أسنان بنكهة التوت البري والبرقوق الأحمر.

هي الآن تبكي دون أن تبحث عن أسباب في الداخل لأنها لم تجد أي رجل بحذاء نظيف".

***

الميكاب، الموضة،

والقسوة على الذات



لكل النساء اللواتي يجدن أن وزنهن زائد لأن مقاسهن ليس

34، أؤكد لكن أنكن جميلات، القبح في المجتمع

مارلين مونرو

***



الميكاب Make up هو الإضافات الطفيفة على الجسد لإضفاء مزيد من الجمال، حيث الميكوڤر Makeover تغييرات جذرية قد تستدعي جراحة تجميلية.. يعتقد الناس أن الميكاب والموضة وما سواه من إستيطيقا الصالونات تتعلق بالنساء – بالأحرى نخبة معينة من النساء – لكن ما لا ينتبه له الناس هو أن جميع البشر محكومون بالجمال في شقيه الميكابي والفاشني (الماكياج والموضة). إن كل لباس نرتديه – ما يمثل فلسفة تطورية تُعتبر لغة تكشف عن أذواقنا – يُمثل موضة: فلباسك مهما بدا عاديًّا (بالنسبة لك) قد كان صيحة (موضة) في يوم من الأيام – بالماضي.

ونحن دون أن نشعر – أو بسبب الاعتياد – لا نعتبر الذهاب عند الحلاق، شراء الملابس، الاعتناء بالبشرة (بزيوت طبيعية) أمور تندرج ضمن نفس المجال: أي الميكاب والفاشن Fashion. فزيت الزيتون التي تضعه على شعرك – كممارسة/تزيّن – لا يختلف عن وضع منتج

لوريالي (أنت فقط اعتدت وضع مادة رخيصة، فكل شيء بالأخير من نتاج الطبيعة). فعند كوكو شانيل: الموضة لا تقتصر على اللباس، إنها في المناظر الطبيعية، في السماء، في كل مكان، في لباسنا وطريقة تصرفنا، إنها نحن باختصار.

ذات يوم شاهدت أحمق، يختار بين ملابس رثة وممزقة ملقاة بالشارع – وبدا وكأنه يتجوّل بمحل لبيرشكا – كان يرفع الملابس ويقارن بينها ليحط على الأفضل بالنسبة له (رغم أن لا أفضلية بينها)! وبإحدى الطرائف، طلب شخص من عامل بورشته – إثر زيارة مفاجأة لصديق له بمكتب الورشة – بأن يحضر فنجاني قهوة كابوتشينو **Cappuccino** – من مقهى قريب– ذهب العامل وطلب فنجاني قهوة دوتشي كابانا **Dolce & Gabbana**، وكانت المهزلة بعودة أحد المشتغلين بالمقهى لمكتب الورشة حتى يفهم ما يعنيه ذلك العامل! ببساطة إنه "طغيان الموضة"!

الميكاب والموضة: إضافات جمالية لانفتاح الذات على الوجود – لكن ونتيجة لتأزمات اجتماعية، يتم إسقاط الضغط النفسي على تلك الممارسات، لا يصبح الميكاب شغفًا ومتعة، إنما عدوانية من الأنثى تجاه ذاتها/جسدها.. والموضة لا تصبح ذوقًا جماليًا، كزخرفة يومية – مثلما سعى الإغريق لتجميل الحياة بالفلسفة، وهنود الشرق بالتأمل – وإنما صراع: ارتداء الملابس بعدوانية، والتحسّس المفرط من نظرات الآخرين، وتصرفاتهم أو كل ما يوحي بأنك لا تبدين "كموديل" كارديشياني! بجانب هذا الهوس الإستيطيقي، ينبت رهاب السخرية

(وكأن الناس بعقلية رالف لورين أو كارل لاغرفيلد: سيدركون فيك أبسط الهفوات في لباسك!!) - إن العديد من البشر يظنون "برادا" Prada بسكويت! وغالبية النساء لا يهتممن أو لا يفرقّن بين صانديل (شبشب) "جيورجيا روز" أو "خلود"!

رغم ذلك هناك رهاب - نتيجة تسلّط الإعلانات.. أو الأسوأ من ذلك - تجد الواحدة ترتدي إجماليًّا (ملابس وإكسسوارات ومنتوجات عطرية) ما يقدر بـ- 300 دولار، ويأتي حقير ويناديها بـ- "الخانزة" (وهو مصطلح دارج يشمل كل مفاهيم الوساخة والعفونة والدعارة على حد سواء!) - وهو إجماليًّا لا يساوي دولارًا واحدًا! لأنها لم تنظر لجهته - وكأن "كالفن كلاين" هو من يصمم ملابسه!

يمكن أن نفهم بشكل أوضح فيما يتعلق بالمسببات والدوافع - حول هذه النقط - إذا اضطلعنا على ما سبق وتطرقت لكتابته شون دريزباك:

"اقرئي هذه الكلمات: «إنك سمينة، ومستهترة بلا قيمة» - «إنك نحيفة جدًّا، لن يرغب بك أي رجل» - «قبيحة. ضخمة. وزنك زائد عن الحد». هل تعتقدين بأنها (هذه الكلمات) تعليقات مروعة بموقع إلكتروني فظيع؟ أو لوم جارح لحبيب متسلط سليط اللسان؟ لا.. المؤسف أو الصادم بالأمر هو أن هذه الكلمات هي ما تعتاده النساء (الشابات) قوله لأنفسهن بأي

يوم مثالي. بالنسبة لبعضهن، تلك أفكار عابرة، أما للبعض الأخريات، فذلك حوار يدور بشكل متواصل، وعقاب (ذاتي) منتظم، وفقًا لمسح حصري قامت به مجلة «جاذبية» لأكثر من 300 امرأة من كل الأحجام. دراستنا وجدت، حسب المتوسط، أن النساء لديهن 13 فكرة سلبية حول أجسادهن بشكل يومي - تقريبًا واحدة عند كل ساعة استيقاظ. وعدد هائل من النساء اعترفن بأن لديهن 35 أو 50 أو حتى 100 فكرة عن كرههن لشكلهن كل يوم"(1).

فغالبية النساء – إن لم نقل جميعهن – كرهن أجسادهن مرة: إن لم يكن ذلك تداعي خاطري مستمر.

كنت قد تحدثتُ عن العقد النفسية الشائعة (2)، لكن كذلك أتفق مع ما جاء بمجلة ياسمينة – من طرف ميسون – حيث "تشيع في أقاصي العالم أجمع 3 عقد نفسية تستهدف النساء وتصيبهنّ، بغضّ النظر عن الاعتبارات المهنية أو الاجتماعية:

– الشعور بالدونية: وفي هذه الحالة، تكون المرأة التي تعاني هذه العقدة مقتنعة بأنّها دون مستوى الأخريات، سيّئة الحظ ولا تستحقّ انتباه الآخرين أو اهتمامهم.

– الشعور بالذنب: تربط من تعاني هذا الشعور الدائم كلّ العقبات والمشكلات التي تعانيها بشخصيتها وتحكم على نفسها بالفشل. وتَعتبر أنها تُسيء التصرف وكلّ ما يصيبها هي سببه المباشر!

– عدم الشعور بالأمان: بارتباطه بحالة من الخوف الدائم، تعاني المرأة التي يسكنها هذا الشعور من قلّة ثقة حادّة بنفسها، ما يجعلها تتراجع أمام أيّ استحقاق قد تكون بذلت قصارى جهدها للوصول إليه.

وكي تعرف كلّ واحدة كيف تتصدى للعقدة التي قد تكون تعاني منها، علينا أن نعرف مسبباتها الأساسية.

– الشكل الخارجي: سمنة مفرطة، تشوّه، أو عيب خلقي، هي الأسباب الأساسية لعقدة الشعور بالدونية بوجه خاص.

– المجتمع: وهي بعض المعايير التي يفرضها المجتمع على أفراده خصوصًا تلك الأمور المتعلّقة بالأوضاع المالية أو المراكز المهنية"(3).

إن الإشكال يكمن في قول مونزو: "إنكن جميلات، القبح في المجتمع"!

بنفس المجلة، أُدرج اختبار جميل ومساعد للغوص نسبيًا في ما يجول بالخاطر – أدرجَته مُنى – من خلال قصّة الغابة:

الأسئلة:

1- أنتِ تتمشّين في الغابة، برفقة من ترين نفسكِ؟

2- بعد الاستمرار في المشي، تصادفين بشكل مفاجئ نوعًا من الحيوانات، ما هو؟

3- هل يحصل أي نوع من التفاعل بينكِ وبين هذا الحيوان السابق ذكره؟إن كان الإجابة بالإيجاب،صفي لنا ما هو التفاعل؟

4- بعد المشي والغوص أكثر في داخل الغابة، تجدين نفسكِ في منطقة خلاء خاوية من الأشجار، حيث يظهر أمامكِ بشكل مفاجئ منزل أحلامكِ! صفي لنا حجم هذا المنزل.

5- هل تخيّلتِ أنّ منزل أحلامكِ محاط بأي نوع من السياج أم لا؟

تحليل الإجابات:

1- الشخص الذي قمت بذكره خلال الإجابة على السؤال الأوّل هو أهمّ شخص في حياتكِ.

2- في هذا السؤال،يرمز حجم الحيوان الذي تواجهينه لنظرتكِ إزاء المشكلات التي تواجهينها في حياتكِ.

3- طريقة تخيّلكِ للتفاعل مع هذا الحيوان يدلّ على كيفيّة تعاملكِ مع مشاكلكِ. احصري اتجاه إجابتكِ في إطار صفة، على سبيل المثال لا الحصر العدوانيّة، التجاهل، الخوف...

4- يجسّد حجم منزل أحلامكِ الذي تخيّلته الطموح الذي تبنينه لمستقبلكِ وتواجهين من خلاله مشاكلاتكِ اليوميّة.

5- إن تخيّلتِ المنزل من دون أي نوع من السياج، فذلك يدلّ إلى كونكِ شخصية منفتحة، اجتماعيّة،لا تمانع الاحتكاك مع الآخرين مهما اختلفت الظروف.أمّا في حال وجود السياج، فذلك

يدلّ إلى كونكِ شخصيّة منغلقة بعض الشيء، تتصرّف مع كلّ من حولها وفق الشروط التي تضعها على نفسها أوّلًا!"(4).

"إنكن جميلات، القبح في المجتمع"!

***

1: Shaun Dreisbach - Shocking Body-Image News: 97% of Women Will Be Cruel to Their Bodies Today, Glamour magazine - on: glamour.com.

2: حمودة إسماعيلي – العقد النفسية الأكثر انتشارًا في العالم، دار اكتب للنشر والتوزيع.

3: ميسون جنيفر بزعوني – أكثر 3 عقد نفسية شيوعًا بين النساء! – موقع: yasmina.com

4: منى نصار – اختبري شخصيّتكِ من خلال قصّة الغابة! – موقع: yasmina.com



نقاش حول القبح



تبدأ الكاتبة والصحفية كاترين دافيد - خلال استضافتها لأوبري وإيكو وهما كاتبان تطرّقا لمفهوم القبح - النقاش بتساؤلها:

هل القبيح هو عكس الجميل؟

أوبري - في التراث الميتافيزيقي، تعارض الجمال والقبح موكّب انطلاقًا من تعارضات مفاهيمية أخرى، الشكل - المضمون، الخير - الشر، الكوميدي - التراجيدي، أو حياة - موت.. أما هنا، فالمسألة أكثر تعقيدًا، لأن القبح قد يكون جانبًا من الحياة، شكلًا آخر للجمال، تجددًا للمظاهر. فمن بين الفلاسفة، أدورنو يُعتبر واحدًا من الفلاسفة القلائل الذين نجحوا في تأمل القبح في ذاته.

إيكو - من خلال تجميع هذه النصوص والصور، كما تم الأمر مع الجمال، توصلتُ لفهم الاختلاف الأساسي بين هذين المفهومين. أول نظرية عن الجمال كانت تشريع بوليكليتوس، بالقرن الخامس قبل الميلاد. لقد حدَّد قياساتٍ ونسبًا. إنسان لا يمكنه أن يكون جميلًا

بقياس 30 سنتمترًا، الذراعان يلزمها طول معين، إلخ. هكذا يقع الجمال ضمن حدود معينة، في حين أن القبح لا حدود له، حيث إنه أكثر تعقيدًا، متنوع، وممتع. في فن الرسم الكلاسيكي، يتخفّى القبح بالغالب بين التفاصيل، لذلك يجب التنقيب عنه. كل الفلاسفة تحدثوا حول الجمال، أما القبح فلا توجد عنه سوى نصوص قليلة.

أوبري – بكتابي السابق، «حياتنا المهترئة بالتغيرات المظهرية» (2007). تحدثتُ عن القبح بصيغة أدبية، من خلال امرأة تجد نفسها قبيحة بنظر الآخرين. وجدتُ بأن في تجربة القبح هناك "عار" بالمعنى الإيتمولوجي (الاشتقاق الأصلي) للكلمة. إنه ظلم عميق الجذور. نحن نعلم بأن الرُضع يبتسمون بتلقائية للوجه المتناغم مقارنة بوجه مشوّه، ولا أحد تطرق لذلك. ثم تساءلت حول التباين بين هذه التجربة الشخصية واللامبالاة الغريبة اتجاه البحث في الأصناف الجمالية التي تتجلى من خلال خطاب الفن المعاصر. تصنيفات الجمال والقبح أمور مستبعدة ومهملة من طرف بعض الفنانين والنقاد، بالوقت الذي تُمارِس فيه هذه التصنيفات عُنفًا معياريًّا مكثفًا بنطاق الجسد، وخاصة جسد الأنثى. حول هذا المسلك: من ثوب اللوحة إلى الجلد، تمت بنية هذه الرواية حيث تُعتبر دراستي الأنطولوجية (المذكورة بالمدخل) نوعًا ما مطابقتها النظرية.

إيكو – القبح موضوع تطرقتُ له بالتفكير منذ مدة طويلة. بسنة **1968**، وقّعت مقال «إستطيقا القبح» للأنسكلوبيديا. فبدأ الموضوع بفرض نفسه عليّ بإلحاح بعد صدور «تاريخ الجمال». وجدت نفسي بمجال مألوف، فلطالما كنت منجذبًا للوحوش. بمكتبتي هناك العديد من المباحث حول الكائنات المتوحشة والعجيبة. غير أنه كان يلزمني الكثير لأكشفه. على سبيل المثال، «القبيحة» لزولا. تعرفون القصة؟ حيث يتوصل البطل إلى أن وضع امرأة غير جميلة بجانب امرأة قبحها ظاهر، تبدو الأولى جميلة. هكذا أنشأ حرفة. بقيامه بتأجير القبيحات ليرافقن النساء حتى يبدون أجمل. زولًا يجعلنا بشكل مذهل نستشعر معاناة المرأة المستأجرة التي تحصل على الوظيفة لأنها قبيحة.

أوبري – في رواية لهنري جيمس، سيدة من المجتمع تختار لصحبتها امرأة ليس فقط أكبر سنًا بل شاحبة بشكل ظاهر، وشيئًا فشيئًا يلمح المحيطون بالسيدة كما لو أن منظرها ينعكس مباشرة من لوحة لهولبين، فيتملقونها كأنها آلهة. كل شيء حدث كما لو أن القبح يكشف وينمّي الجمال.

إيكو – يجب أن تتم ترجمة «فوسكا» (**1869**) لتاركيتي، وهي قصة شخص يقع في غرام امرأة قبيحة، ليس لأنه مازوشي (يستهويه الألم)، بل لأنها قبيحة، وبالرغم من قبحها الذي لا يُطاق.

أوبري – هناك بالأدب قبيحات ذوات فتنة عظيمة. قبحهن ينمحي بالحركة، وفق نعمة جمالية كانت متوفرة بالقرن الثالث لدى أفلوطين. مظاهر قبحهن الفتّان كانت جذابة قبل كل شيء.

إيكو – ها قد نطقت بالكلمة السحرية! يُطلب مني باستمرار إن كانت باربرا سترايسند وجيرارد ديبارديو جميلين أم قبيحين. فأجيب بأن هناك صنفًا ثالثًا يجب أن يتم تكريس كتاب له، غير أنه مراوغ، وهو الجاذبية! حقًّا لا أعلم لما تخلّى الفلاسفة عن لاتينيته. بإمكانك تطبيق قياسات بوليكليتوس على الجمال، ولكن ليس على الجاذبية. إنه لغز يقلب كل شيء، انظري لبورتريهات جورج ساند، إنها ليست جميلة، لكن بنظر معجبيها، لديها بالطبع "شيءٌ ما". نيرفان كان مولعًا بالممثلة جيني كولون، وإذا ألقيت نظرة على بورتريه لجيني، ستنفجرين ضاحكة. لكن يجب أن تأخذي بعين الاعتبار أنها كانت تمتلك جاذبية.

أوبري – كتب جون بيير فيرنون صفحات رائعة حول تجربة المرآة كتجربة الميدوزا. بالنسبة للإغريقي، النظر في المرآة، هو التطلع المباشر لوجهه الليلي، لنفسه في الما وراء. بحثي تطرق لما أطلق عليه عبثية القبح، عن ما يتعلق بعبثية الشر – وجوه عابثة، ضاحيات بائسة، مناظر مشوهة – في القبيح، كتجربة اعتيادية، متداولة. ومن ثم فما يتضمن هذه التجربة يمكن أن ينتج لنا كشفًا، حينما تنمحي الأشكال وتتحطم المظاهر.

إيكو – يجب على النصوص الفلسفية أن تُفسّر بطريقة مغايرة انطلاقًا من تكنولوجيا زمانها. فحينما كان القدماء ينظرون لمراياهم المعدنية، كانوا يرون تقريبًا ما نراه نحن بالنظر للمرايا المشوّهة بلونابارك. ذكر ويليام أوكام بموقع ما بأن صورة هرقل لن تكون مألوفة إلا بالنسبة لمن عرفوا هرقل. بالواقع، بزمنه، لم تكن هناك بعد بورتريهات تشبيهية (منعزلًا في الدير، لا معرفة له ببورتريهات فايوم) على هذا النحو ليس للأيقونة سوى وظيفة تذكيرية.

كاترين دافيد: تكنولوجيًّا اليوم، هل تكون الجراحة التجميلية؟

إيكو – ذلك سيكون شكلًا من أشكال الخلاص بالنسبة لبعض النساء. تخيلوا امرأة بالزمن الراهن مولودة بملامح ماي وست أو غريتا غاربو. لن تبدو جميلة! إنها لعنة التمتع بجمال مُتجاوز. بالنسبة للذكور، الأمر أرحم، يمكن للرجل أن يظل مقبولًا بملامح ميشال سيمون. إذن، فلو أمكن للجراحة تحويل (شبيهة) غريتا غاربو لنعومي كامبل. ستكون لدي الإمكانية لأصبح ميشال سيمون!

كاترين دافيد: في كلا كتابيكما، هناك حضور بارز للتعاطف..

أوبري – وجب على الفنان أن يستقبل الواقع بكل شموليته كما قال ريلكه، بما يتضمنه من جيف (جمع جيفة).. حول اللوحات السوداء لغويًّا، تحدّث إيف بونفوا عن تجربة تعاطف، حيث يتداخل

الحسي (الإيستيطيقي) بالأخلاقي (الإيطيقي).. هناك إتيمولوجيا تخُيلية من دون شك لكلمة "قبح" المشتقة لغويًا من ليدير **laedere**، الأذى، فالقبيح بذلك من يسبب الأذى، غير أن الأذى، كما يقول جينيه، هو في ذاته أصل ومنبع كل جمال.

كاترين دافيد: لقد استشهدتم بجملة جورج باتاي: "لا أحد يشكُّ في بشاعة الفعل الجنسي"..

إيكو – هاهنا المسيحية. بشاعة الفعل الجنسي حاضرة بجل تعاليمها. والجمال مجرد إغواء شيطاني... سابقا لدى ترتليان، إذا قامت النساء بالتجمل فذلك لغرض إخفاء قبحهن! فقط حتى العصر الباروكي بتنا نستشعر الميل نحو المرأة الذابلة بعض الشيء.

أوبري– استشهد جورج باتاي في «الإيروتيك» (الإثارة الجنسية) بنص ليوناردو دافنشي حول بشاعة الأعضاء الجنسية وتابع القول: إن رهان الجمال الأنثوي هو إبراز بشاعة العضو – لتمكين التدنيس والانتهاك، حيث المتعة.

كاترين دافيد: ما رأيكم بصيحة الأقراط، في عالم حيث الجمال يُختص بمجلّة؟

إيكو – تذوُّق الرعب ليس حكرًا على زماننا، فقد كان الرومان يذهبون لرؤية المسيحيين يُلتهمون من قبل الأسود، وصموئيل بيبس

كان يقتني تذاكر لمشاهدة الإعدامات. أما اليوم، فهذه المشاهد طاغية الحضور.

أوبري – تُحوّل الفنانة التشكيلية أورلان ذاتها ل–"وقود مدافع"، تزرع نتوءات بجبهتها، تمزج صورها عبر محوِّلات بصور تماثيل بدائية. هنا يبرز رفض للأشكال القدرية المحتومة... بالنسبة لماليفيتش، قبيح كل ما هو رمزي.

إيكو – يوجد اختلاف جلي بين براكسيتيليز ودوبوفي، الذي لم يزل يهدف لعمل شيء جميل. مع الفن المفاهيمي و"الكافاءات" نرجح نحو شيء آخر. السعي للجمال، غائب بالفن، الانتصار الآن بتصميم السيارات. قال المستقبليون سابقًا إن سيارة رياضية أكثر جمالًا من "انتصار ساموتراس" (تمثال يوناني).

أوبري – أجل، يرث التصميم لا حياء رغبة الجمـال، الـتي لا تتركنا بالرغم من الخطابات الطليعية، القديمة أصلًا، حول التصنيفات الجمالية التي لم يعد لها معنى. تظل دائمًا وأبدًا، تبحث عن جماليـات وأشكال جديدة.

Le laid concentré: Gwenaëlle Aubry et Umbert Eco, Propos recueillis par Catherine David, sur le Nouvel Observateur.

تاريخ يحكم الجسد



إنني أكتب لتصبح مساحة الفرح في العالم أكبر..

ومساحة الحزن أقل

¤ نزار قباني

***



كل هذا الطعن والقتل والاغتصاب والاعتداء والقهر الذي عاناه الجسد، ليُثير الفزع.

إن الجسد الإنساني بتاريخه شاهد ومسرح للطعن والتقتيل والتجريح والاستغلال، إن لم يكن قد اختُزل في هذا الإطار.

لقد أُهين الجسد وحُرِم وعُذِّب وانتُهك، ومورست على الجسد الإنساني (خاصة شقه الأنثوي) فظاعات عديدة.

وذلك بناء على مفاهيم في أُساسها سخيفة، هي عبارة عن مخاوف تكيُّفية متوارثة وتقهر الجسد وتسيطر عليه.

لم تعد هذه المخاوف المنتهكة للجسد صالحة لهذا الزمان..

إنها لا تعدو أكثر من طين يعلق بحذاء يمر فوق حديقة لم تُسقَ بعناية، وكل موضع يطؤه الحذاء عند دخوله المنزل، يتسبب في اتساخه

إن حياتها (المفاهيم) متسخة بقذارات المخاوف التاريخية الوهمية، تقيّد الجسد وتمنعه من كشف أبعاده

الجسد شيء عظيم، الجسد لا يستحق كل ذلك التعتيم والضرب والتحقير، الجسد لا يستحق اللامبالاة والتجاهل والعنف.

الجسد هو مقياسك، هو حياتك، هو روعتك ووجودك، هو ذاتك وأناك وحوارك مع سواك.

الجسد هو الحب، الجسد هو المقدس والإله.

لن تتغير الحياة، ما لم يتغير التعامل مع الجسد.. ليس بوضع تشريعات ومقاييس وقوانين أخرى (فكل ذلك استبداد)، بل يوم نعي أن الجسد لا يحتاج لكل ذلك التضييق، يحتاج للاحتضان حتى تتفجر أبعاده: يهرب الناس من أجسادهم، فتقع كل الموبقات على ذلك الجسد المتروك!

دافعي لهذا الكتاب، هو الكتابة عن الجسد، ليس لأن أقول له كما يفعل كل من يكتب أو يسعى لذلك: "افعل ولاتفعل"، كفانا من هذه القاعدة الحقيرة والمحتقرة للجسد. لا! ولا أكتب لأُحرِّر الجسد، أو أُحرِّر الإنسان، وما سواه من تخاريف الفلسفة وعلم النفس (فهي بالأخير مجرد مسميّات تأطيرية للفكر) وغيرها من أدوات القمع والاستبداد: إنما أكتب عن الجسد لأقول إن التاريخ كان يفعل فعله فيك، بأن "تفعل ولا تفعل"، ليس دون إرادتك، بل يستبدل إرادتك

بإرادته، ورغبتك برغبته، بأن يستبدك، مثلما يقوم المعالج النفسي والمحلل النفسي بشفائك، إنما هو لا يشفيك بقدر ما يجعلك مثله: فأنت مريض فكريًّا، وهو غير مريض فكريًّا، فشفاؤك يحدَّد من خلاله مقياسه بأنه غير مريض، فيجعلك من مريض لغير مريض - أي مثله!

أن أكتب، هي أن أروي وأصف، قد أتلاعب بعقلك، لكن ذلك لا يخرج عن الوصف. أنا لا أقودك، لست أمك أو أباك أو تاريخك (هم يفعلون ذلك). أكتب للحديث والحوار والصداقة والحب والتعارف، بدل أن يُنتزع الاعتراف بي من الجسد (جسدك) كما في التحرش (بك) والاغتصاب والبغاء، والعبودية الحديثة كما يسمونها بسوق الشغل أو الوظائف (ب-"مكتب" أو دونه).

بالحديث عن الجسد: نتحدث عن المظاهر، والمشكلات، والحب، والجمال، والعلاقات. عن الماضي، والحاضر، والمستقبل. عن الموت، والحياة. عني وعنك، عن الكبت الذي يخنقنا.

لقد فصلوا العقل (هذه الفكرة الغبية) عن الجسد: حتى ينتهكوه، فالمهم هو أن يظل عقلك (وهمك) سليمًا.. ما العقل وما الجسد؟ إنهما شيء واحد، وتصرف واحد، عقلك بالأصل يوجد لخدمة جسدك، وليس العكس!

اجنح لما يليق بك، افعل ما يفتح وجودك ويوسع ويسعد كيانك، مهما يكن سخيفًا! بالأخير لربما السخافة هناك فيما يفعله المحكومون تاريخيًّا!



في أرض النفاق



لسنا صادقين تمامًا إلا في أحلامنا

نيتشه

***



كل إنسان يكذب، لأن الصراحة قد تجرح أحيانًا.

كل إنسان ينافق، لأن الحقيقة قد تؤلم أحيانًا.

الخشية من أننا قد نجرح من نحب بصراحتنا وصدقنا أو التسبب بخسرانه، هي ما يدفعنا لنكذب وننافق.

نكذب على من نحب، لأننا نحبهم.

وننافق من لا نحب، حتى لا نبدو قساة أو دون عاطفة أمام من نحب.

سيكولوجيًا لا يرى البشر في أنفسهم النفاق، لأن النفاق ليس في الفعل، بل في انفضاح الفعل كنفاقٍ.

ولا يرون الكذب في أنفسهم، لأن الكذب ليس في القول، بل في كشف القول ككذب.

فلا فضيحة في الفعل، بل الفضيحة في التعرية الاجتماعية للفعل.

إن الكذب والنفاق، آليات سوسيونفسية تمكّن الإنسان من المحافظة على صورته الاجتماعية المطلوبة، ضمانًا لاستمرار علاقاته العاطفية بمن حوله ومضاعفتها، توفيرًا للاندماج وما يحققه من أمان نفسي وأحاسيس بقيمة الذات.

الإنسان قد يتحمل لا شعوريًا أن يكون منافقًا أو كاذبًا، لكنه لا يتحمّل أن يكون وحيدًا.

فالوحدة تنجب أمراضًا نفسية، لأنها تخلق مجتمعًا وهميًا للشخص الوحيد كتعويض عن المجتمع الواقعي المفتقَد.

مثلما يخلق السجن الانفرادي صديقًا خياليًا للسجين، كتعويض عن الصديق الحقيقي اللاموجود.

يهرب العقل – كرد فعل طبيعي من الضياع في الجنون – من الوحدة، للجوء للكذب أو النفاق إذا اضطره الأمر، حتى لا يفقد وظيفته وذاكرته الاجتماعيتين.

فما الإنسان إلا أقارب وأصدقاء وأحبة وأعداء، وذكريات عن الأقارب والأصدقاء والأحبة والأعداء.. فإن هم ذهبوا، ذهب هو كذلك، فيأتي آخرون وهميون لملأ الفراغ الذي يخلفونه.

ألا ما أقسى من يتحدثون بسوء عن النفاق والكذب!

فهم لا يدركون أنهم أنفسهم يكذبون وينافقون، فيقسون رغم كذبهم ونفاقهم.

إن من ينفي نفاقه وكذبه، هو أول الكذابين وأكبر المنافقين.

لا يقول الإنسان الحقيقة المؤلمة، إلا بدافع الانتقام ممن يقول له، ولا يصارح الإنسان بالصراحة الجارحة، إلا حينما يود جرح من يخاطبه. أما دون ذلك فهو ينافق ويكذب.

فنحن نعرف أن هناك من يعرفون أننا نكذب عليهم وننافقهم ولا يترعجون منا؛ لأنهم أنفسهم لا يرغبون بسماع الحقيقة ولا بتصديقها فهي كذلك تؤلمهم.

وللتخفيف عمَّن ينافقونهم يسمون تصرفهم نحوهم تلطَّفا، وكذبهم عليهم لباقة.

يحب الناس النفاق والكذب لأنه يجعلهم أفضل. فالناس ليس فقط أنهم يعرفون حقيقتهم بل لا يرغبون كذلك أن يسمعوها من الآخرين، فتكفيهم آلام الواقع والحياة، حتى يضيفوا لها ألم الحقيقة. فالناس تصرخ بكلمات نزار قباني: "قل لي ولو كذبا كلامًا ناعمًا..

فهناك حتى من يرى في الحياة كذبة، وفي الحب خدعة: فعيب عليه أن يترعج أو يتحدث بسوء عن النفاق والكذب.. أم يخدعنا هو كذلك، بنفاقه وكذبه!

ألا أكثر ما يكذب البشر، حين يدعون بأنهم لا يكذبون، وما أسوأ نفاقهم، حينما يقولون إنهم لا ينافقون.

كتب ستيفن كينغ يقول: "وحدهم الأعداء لا ينافقون، أما الأصدقاء والأحبة فهم يكذبون إلى ما لا نهاية، محاصرين في نطاق الواجب".

ختام



حميمية فيسبوكية



علم نفس الفيسبوك
أو الرغبة الافتراضية!

مواقع التواصل الاجتماعي خصوصًا الفيسبوك، عبارة عن واجهة للمستخدم، أي عن طريقها (المواقع) يمنح لمحة عن نفسه وعن حياته للآخرين، لترك انطباع محدَّد عنه. أهم شيء في الموقع – ما دمنا نتحدث عن موقع الفيسبوك وهو من بين الأكثر استخدامًا – ليس التواصل! ولا حتى تبادل المعلومات! ولا الصور! ولا حتى ما يعلّق به الناس (تعليقات) طيلة أيام الأسبوع! إن أهم شيء بالموقع هي خاصية اللايك **Like**، لأن المستخدم يعتمد في نشره لأمرٍ ما على نسبة اللايك المتوقعة عمًّا سيضعه انطلاقًا من حسابه (الشخصي). اللايك هنا هو الدافع للتفاعل داخل الموقع بين المستخدمين.

طبعًا، لتقدير أهمية هذه الخاصية (اللايك)، فإن الموقع يقوم بدعم صفحات المشاهير عبر نفس الخاصية، فالأمر لا يحتاج سوى ضغط

لايك ليتم التفاعل ما يقدمه المعني على صفحته، الأمر الذي يختلف عن الحساب الشخصي الذي يستلزم قبول الشخص لدعوة الصداقة الافتراضية والتفاعل المعلوماتي. هنا اللايك تقدّر نسبة اهتمام الناس بالمنتج الذي يتم عرضه: سواء كان تعليقًا، صورة، فيديو، خبرًا، أو حتى إشهارًا لمنتج تجاري. ضغط اللايك إشارة لاهتمام المعنيّ بالمنتج (العرض) وإعجابه به. هذا الأمر له وقع نفسي على صاحب العرض: سواء أكان شخصًا يعرض أمرًا شخصيًّا – تعليقًا، صورة... إلخ – أو مؤسسة تقدم إعلانًا.

صار الإعجاب الافتراضي أهم للناس من الإعجاب الواقعي، بل قد ينشر الإنسان شيئًا وتركيزه على شخص معين (فقط) هو الذي يرغب من أعماقه أن يضع له "لايك": ما يفيد أن ذلك الشخص المحدد اضطلع عن المنشور وأبدى إعجابه به، وإن الأمر ليصل حد دمج ذلك الشخص – أو عدة أصدقاء – للمنشور ليظهر ساعتها بحسابهم الشخصي رغمًا عنه/عنهم. قطعًا للشكّ بتأكيد أن الشخص (المرغوب) أو أي من المدمَجين لم يضع لايك، فهذا يعني أنه لا يبدي إعجابه بمنشور الشخص، أي بالشخص نفسه!

قد تبدو الأمور من هذا الموقف تافهة، لكن حينما نجد شركات كبرى ومؤسسات تتوسل وضع اللايك من المستخدمين (باستخدام خاصية الدفع النقدي والإعلان المفروض على صفحة المنشورات الخاصة بك) يدرك الواحد هنا أهمية الأمر الذي تغلغل داخل الجهاز النفسي الاجتماعي – المستخدم للأنترنت ولهذه المواقع – وحتى

الاقتصادي! بل إن سياسيين (وأحزابًا) يقومون بدعم حملاتهم بطرق مباشرة وغير مباشرة انطلاقًا من خاصية اللايك: لايكني= انتخبني!

نعود لقصة الدمج - دمج المستخدمين - في منشور معين ليظهَر لهم رغمًا عنهم، ما يساهم في توسيع انتشار الإعلان. وكما قلت فإن ذلك يُستخدم من قبل المؤسسات كما من قبل الأشخاص: خوفًا من ألَّا تحظى منشوراتهم باللايك المطلوب: فقلة اللايكات أو انعدامها تُحدث وقعًا سلبيًّا للمعنيِّ، وكأنه منبوذ فيسبوكيًّا، الأمر الذي صار أسوأ نفسيًّا من النبذ الاجتماعي الواقعي، الذي يتم التعود عليه نتيجة الاغتراب النفسي الذي يعيشه الناس منذ زمن كارل ماركس أو ما قبل!

يصل الأمر أحيانًا حد تأطير قانون حول اللايك، فإذا لم تضع لايكات لمنشوراتي - خاصة التي أدمج اسمك/حسابك فيها - فهذا يعني أنك لن تحصل على لايكات من عندي، فالسن بالسن والعين بالعين. لا يصبح المقياس هو جودة المنشور أو نسبة الإفادة التي يقدمها، بل بما يحققه للمستخدم من لايك شخصي (المردودات المحتملة/المرجوة له أيضًا)، فهو يضع لايك لمن يضع لايكات له (لمن يعيد له اللايكات) - طبعًا لا يُتخذ هذا الموقف من قبل الذين يشعرون بالملل فيضعون لايك لأي شيء يظهر لهم أو بحكم حبهم الودي للشخص كأقربائهم (كأن تضع لايك لوالدتك حتى لو لم تكن تضعها لك).

الأمر يختلف بالنسبة للصفحات (خاصة بالنسبة للمشاهير) والذي (المعنيّ صاحب الصفحة) فقط يتلقى اللايكات والتعليقات دون فرض الرد، لكن يجب أن نفهم أن انكباب المستخدمين على صفحة معينة لا يكون إلا بما يتحقق من تفاعل خاص بالمستخدمين على مستوى التعليق واللايكات على المنشور - صفحة ليس بها تفاعل لن يهتم بها أحد - وهو ما يحدث حتى بالحسابات الشخصية، حتى تضطر المعنية - والتي غالبا ما تكون أنثى - لحذف خاصية الإضافة - لاستبعاد الإزعاج؛ لكن ورغم نرجسيتها وعدم مبادلتها للايك مع البعض، فإن بعض المستخدمين يستمرون بلايك منشوراتها والتعليق عليها نتيجة العدوى التفاعلية: الناس بالفيسبوك كالذباب لا يتفاعلون سوى مع المنشورات التي يتجمع حولها مسبقًا مستخدمون آخرون - لربما انطلاقًا من هناك يحصلون على أصدقاء جدد يضعون لهم مزيدًا من اللايكات على ما يضعونه بحساباتهم.

اللايك صار جزءًا من شخصيتنا، تكتب، تُعلّق، تأخذ صورًا لنفسك أو لفنجان قهوتك أو حتى لوجبتك المسائية، وجانب في دماغك يفكر في اللايك ويقدّر النسبة المرجوة متشوقًا لتحصيلها. لكن لا يجب ألّا يغيب عن بال الإنسان أن حتى **1000** لايك لا تمنح الإحساس الذي تمنحه قُبلة واقعية! وكما تقول العصافير: "شخص باليد أفضل من **100** شخص بالفيسبوك".

لكن يظل الأغرب من كل ذلك، من يضعون منشورًا، ويقومون بوضع لايك له هم أنفسهم! أولا يكفي أنك أنت من قام بنشره؟!



الفهرس

دون مقدمات 9

مدخل أول ب-: فلسفة للقبح 13

مدخل ثان ب-: عندما تستيقظ، لا ترغب بمغادرة السرير 33

مدخل ثالث ب-: أن تكون أنثى في المجتمع الحقير 39

الجزء الأول تاريخ الأنوثة المسخوط أو وراء كل امرأة عظيمة هي نفسها

ما العورة؟ 51

ليست لدينا امرأة 59

أنتِ أنثى.. إذن أنتِ عاهرة! 67

تاريخ للرجال.. وتاريخ للعاهرات 79

عذراوات وعاهرات انقلاب الفكر النسوي على ذاته 89

البلادة النفسية أو تحمّل الواقع المر 97

الضيق النفسي أو الاكتئاب كثقافة! 105

التشرذم النفسي أو الآنا عدة أشخاص! 113

المعتقدات تسلب الحياة قيمة العقل في مجتمع الحمقى! 121

مخاوفنا من طفولتنا 131

الجزء الثاني .. سخرية القبح

ماذا يعني أن أكون جميلًا(ة)؟.. 145

حظ الجميلة وحظ القبيحة 157

الميكاب، الموضة، والقسوة على الذات 171

نقاش حول القبح 183

تاريخ يحكم الجسد 193

في أرض النفاق 201

علم نفس الفيسبوك أو الرغبة الافتراضية! 213





المرأة هي الإناء الوحيد الباقي لنا لنفرغ فيه مثالياتنا

يوهان غوته

لدينا رُمانة!
والتفاحُ هو فاكهة الشهوة، وغموضُ الخطيئة وجرعة الأحقاب التي تحفظ العلاقة مع الشيطان

فيديريكو غارثيا لوركا

عندنا مخزون من العُقد التاريخية المزمنة تكفينا إلى يوم القيامة

نزار قباني

إن الطبيعة الساحرة وأحلام اليقظة والموسيقا يقولون شيئًا. والواقع يقول شيئًا آخر!

أنطون تشيخوف

كل شخص يخفي بداخله ذلك الطفل الذي يريد أن يلعب

نيتشه

لكل النساء اللواتي يجدن أن وزنهن زائد لأن مقاسهن ليس ٣٤، أؤكد لكن أنكن جميلات، القبح في المجتمع

مارلين مونرو

Cover by #ahz_art


9789774885556



دار اكتب للنشر والتوزيع

12 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور المرج الغربية – القاهرة – مصر
E-mail : daroktob1@yahoo.com
01111947957